

نظرات شرعية في فكر منحرف

□□□□ □□ □□□□ □□□□□□ □□□□ □□ □□

إعداد
سليمان بن صالح الخراشي

المجموعة الثالثة

- | | |
|---------------|----------|
| 1- محمد خلف | الله |
| 2- محمد عابد | الجابري |
| 3- أحمد | البغدادي |
| 4- فرح أنطون | |
| 5- شبلي شمير | |
| 6- سلامة موسى | |

**نظرة شرعية في فكر (محمد أحمد خلف
الله)**

يقول الأستاذ عبد السلام بسيوني عنه: "من أركان الفكر القومي المتطرف، الذي يعتمد المعايير الماركسية أسساً وضوابط له" (العقلانية هداية أم غواية؟ ص 134)

ويقول محمد إبراهيم مبروك عنه: "يهدف الدكتور خلف الله من كتاباته على نحو ما هو مطروح فيها إلى إقامة نهضة إصلاحية ماركسية لتطبيق الاشتراكية العلمية (الشيوعية الماركسية)، وعلى ذلك يجب تطويع بعض المفاهيم الإسلامية التي قد تتقارب في بعض أوجهها مع المفاهيم الماركسية في سبيل إقامة ذلك المشروع، أما المفاهيم الإسلامية الأخرى التي تتناقض تناقضاً بيناً مع المفاهيم الماركسية فإنها يجب تأويلها أيّاً كان شكل هذا التأويل أو تزيينها في صورة جديدة، أو اختزالها إلى مفاهيم أخرى بالطريقة التي يمكن بها إزاحتها من أمام مواصلة المضي في إقامة ذلك المشروع، فإذا لم ينفَع معها أي مما سبق، فإنه يجب نقضها وهدمها تماماً!" (تزييف الإسلام وأكذوبة المفكر الإسلامي المستنير، ص 105-106).

قلت: وقد ابتدأت الضجة حول الدكتور خلف الله عندما أصدر أطروحته للدكتوراه عام 1947م عن "القصص الفني في القرآن" التي ادعى فيها أن قصص القرآن إنما جاءت للموعظة لا لتقرير الحقائق!! أي أنها قد تكون أساطير وخرافات!! وقد أحدث هذا موجة من الاستهجان والاستنكار من العلماء والكتاب.

ومنذ ذلك الحين والدكتور خلف الله يُلقي بين الحين والآخر بآرائه المستهجنة - كما سيأتي-.

انحرافاته :

1- كما سبق فإن من أهم وأوائل انحرافاته المشينة زعمه في رسالته للدكتوراه التي أشرف عليها شيخه أمين الخولي⁽¹⁾ بأن الصدق التاريخي لم يكن من مقاصد القرآن الكريم فيما عرض من وقائع وقصص تاريخية !!

يقول خلف الله "إن الصنيع البلاغي للقرآن الذي يقوم على تخليص العناصر القصصية من أحداث وأشخاص وأخبار من معانيها التاريخية، وجعلها صالحة كل الصلاحية لاستثارة العواطف والانفعالات حتى تكون العظة والعبرة، وتكون البشارة والإنذار، وتكون الهداية والإرشاد، ويكون الدفاع عن الدعوة الإسلامية والتمكين لها حتى في نفوس المعارضة - إن هذا كله هو الدليل القوي على أن القرآن الكريم لا يطلب الإيمان برأي معين في هذه المسائل التاريخية" (الفن القصصي، ص 254).

ثم يقول : "ومن هنا يصبح من حقنا، أو من حق القرآن علينا، أن نفسح المجال أمام العقل البشري لبحث ويدقق، وليس عليه من بأس في أن ينتهي من هذه البحوث إلى ما يخالف هذه المسائل -أي ما ذكر في القصص القرآني!-، ولن تكون مخالفة لما أرادته الله أو لما قصد إليه القرآن، لأن الله لم يرد تعليمنا التاريخ، ولأن القصص القرآني لم يقصد إلا إلى الموعظة والعبرة وما شابههما من مقاصد وأغراض. إن المخالفة هنا لن تكون إلا مخالفة لما تتصوره البيئة ولما تعرفه عن التاريخ. ولم يقل قائل بأن ما تعرفه البيئة العربية عن التاريخ هو الحق والصدق.

(1) انظر لبيان انحرافاته وتأثيره على تلاميذه؛ كخلف الله: رسالة الأستاذ أنور الجندي -رحمه الله-: (إعادة النظر في كتابات العصرين في ضوء الإسلام، ص 126-130).

ولم يقل بأن المخالفة لما في أدمغة العرب من صور
عن التاريخ هي الكفر والإلحاد. بل لعل هذه المخالفة
واجبة حتى يكون تصحيح التاريخ وخلوه من الخيالات
والأوهام!!" (القصص القرآني، ص 254-255)
قلت: وهذا قول كفري -لاشك فيه- ؛ حيث نسب
الكذب إلى القرآن الكريم -والعياذ بالله-.

ولهذا فقد استهجن واستنكر المسلمون صنيعة
هذا -على مختلف مشاربهم- فرد عليه منهم : أحمد
أمين وعبد المتعال الصعيدي وعبد الفتاح بدوي
ومحمد الغمراوي ومحب الدين الخطيب، أما الشيخ
شلتوت فقد حُوت له الرسالة لفحصها وإبداء رأيه
فيها، فذكر في تقريره بأن هذه الرسالة: "قامت
على أسس فاسدة، لأنها غارقة في تكذيب القرآن،
ولأن كاتبها جاهل لا يفهم النصوص" وختم تقريره بأن
تُظهر الجامعة من هذه الدراسة. كما أفتى أكثر من
مائة عالم من الأزهر بأن هذه الرسالة "مفكرة يخرج
بها صاحبها عن الدين الإسلامي"؛ (انظر: مؤلفات في
الميزان لأنور الجندي ص 72، والعقلانية هداية أم
غواية لعبد السلام البسيوني، ص 135).

قلت: ومن أواخر من فنّد ما جاء في هذه
الأطروحة الكفرية -فقرة فقرة- الدكتور محمد
بلتاجي في مقالته الطويلة حولها بعنوان "التفسير
البياني للقصص القرآني بين الحق والمذهب الفني،
دراسة وتقويم لمنهج باطل في التفسير" نشر في
مجلة (أضواء الشريعة، مجلة تصدرها كلية الشريعة
باليابض، العدد السادس، جمادى الثانية، سنة
1395هـ الصفحات 99-182).

يقول الدكتور بلتاجي تعليقاً على مقولة خلف
الله السابقة : "إذن فنظرية خلف الله التي ستحل -

كما قال- مشكلات التفسير واعتراضات المستشرقين والمبشرين: هي أن القرآن الكريم استخدم الأساطير والأكاذيب التي كانت في أذهان العرب عن الوقائع التاريخية، فنزل بها، ولم يصححها أو ينص على كذبها، خدمة لأغراضه في العظة والاعتبار، ومجارة لعقائد القوم الذين نزل فيهم!! (ص 112). (ومن أراد الزيادة فليراجع مقالة الدكتور بلتاجي -أثابه الله-).

وهذا القول من خلف الله -كما سبق- قول كفري، يكفر به إن لم يتب إلى ربه، ويعتقد أن كلامه سبحانه وتعالى منزله عن الكذب.

2- ومن انحرافاته: "الاقتصار على القرآن الكريم فقط في الاستدلال دون السنة؛ لكي يفلت من تحديدات السنة لمعاني القرآن وأغراضه وأحكامه وتعاليمه، ولكي يفلت من مقررات السنة نفسها، ولا يصطدم اصطداماً بيناً مع أحد نصوصها المتعددة"، ومع هذا فإنه "لا يستند على أي مرجع من مراجع التفسير المعتمدة إلا (مفردات القرآن الكريم) للراغب الأصفهاني! وهو كتاب تفسير لغوي، وعلى بعض التفسيرات والأقوال التي يشتمل عليها تفسير المنار، التي يستخدمها استخداماً الخاص ويؤولها بالطريقة التي تخدم أهدافه. ليس هذا فقط؛ فإن الدكتور خلف لا يستند على مراجع من أي نوع وبذلك يتحرر تماماً من التفسيرات والمفاهيم والأفكار التي يجمع عليها المسلمون والتي من الطبيعي أن تعوق تقدمه في خطته التأويلية التحايلية التلقينية التي يقوم بها. أما بعض الأفكار العامة التي تهدف إلى التجديد فلا بأس بها عنده فقد

تكون مبرراً لادعائه بأن ما يقوم به هو تلبية لما نادى به مفكرو العالم الإسلامي من ضرورة التجديد" . (انظر: تزييف الإسلام، ص 106-108).

ومع هذا فإنه يقول "إن النص القرآني إن لم يكن قادراً على تحقيق المصلحة تركناه ولجأنا إلى الفكر البشري"!! (عن اليسار الإسلامي، ص 34).

3- ومن انحرافاتة: أنه يذهب إلى "أن الإسلام دين عربي لا يعدو جنساً معيناً من البشر، ولا يجوز اعتباره رسالة للعالمين" (عن: العقلانية هداية أم غواية، ص 134).

4- ومن انحرافاتة: أنه يرى أن المعايير الإسلامية قاصرة لا تصلح لهذا الزمان، يقول: "لقد فعل الزمان فعلته في المعايير القديمة فعلاها الصدا وتآكلت منها الجوانب، وخفت موازينها إلى الحد الذي أصبحت فيه عاجزة عن أن تكون أداة من أدوات الحق والعدل" (مجلة الطليعة المصرية الماركسية، نوفمبر، 1975 عن: غزو من الداخل، لجمال سلطان، ص 35).

ولذا يتعجب هذا (المستنير) ممن لا زالوا يتبعون النصوص الشرعية!، يقول: "ومن الغريب أن المسلمين اليوم لا يعنيه أمر من هذه الأمور، بقدر ما يعنيه الاستمساك بهذه القيم، ويكون استمساكهم أشد عندما يكون المعيار القديم نصاً من النصوص"!! (المصدر السابق).

5- ومن انحرافاتة: قوله: "إن خروج المعاملات من نطاق الشرع إلى نطاق القانون، قد حقق لها ألواناً من الحرية والانطلاق لم يكن لها بهم عهد

من قبل " !! (مجلة الطليعة الماركسية، فبراير 1976).

ويقول: "القرآن لكل العصور ولكل الأزمنة فيما يخص المعتقدات الدينية والعبادات، وليس فيما يخص المعاملات" !! (حوار حول قضايا إسلامية، إقبال بركة، ص 102).

6- ومن انحرافاته: قوله بأن "شرع المتقدمين علينا حضارياً شرع لنا" !! (مجلة الطليعة، مايو، 1976).

7- ومن انحرافاته الخطيرة تطبيقاً لما سبق: ادعاؤه "أن هناك أشياء وردت في القرآن الكريم ولا نستطيع أن نعمل بها الآن؛ لأن العمل بها ضار بمصلحة المسلمين" !! ومن هذه الأشياء -في زعم الدكتور- :

تقسيم الغنائم، وحد الزنا، وحد السرقة، وحد شرب الخمر! (انظر مقابله مع مجلة روز اليوسف، عدد 3177).

(وقد رد عليه تخاريفه هذه الأستاذ مصطفى علي محمود في المجلة العربية، العدد 159). ويقول هذا الزائف: "موقف القرآن الكريم من المرأة كان موقفاً في عصر معين ووضعت تلك القواعد لعصر معين، ومن الممكن جداً أن مثل هذه الأشياء قد لا يسمح العصر الذي نعيش فيه بتطبيقها. وأعطيك مثلاً: حد الزنا الذي يطالب البعض بتطبيقه، له شروط ولا بد من أربعة شهود على واقعة الزنا.. اليوم في العصر الحديث توجد مبان ولا توجد خيام كما كان الحال وقت نزول الآية.. وبالتالي أصبح من المستحيل تحقيق الشروط، فالمساكن الحديثة في العمارات والشقق تجعل توافر الشروط مستحيلاً.

كذلك لم يعد أحد يجرؤ على اقتحام بيوت الناس،
والعلاقات الاجتماعية أصبحت مختلفة تماماً. فهل
ترك الزنا بلا عقاب أم نفكر في عقاب جديد وفي
شروط جديدة تتفق مع العصر!
صحيح أننا سنبتعد عن التطبيق الحرفي للنص
القرآني الواضح، ولكننا نفعل ذلك إحياء للإسلام
وليس العكس" !! (حوار حول قضايا إسلامية، إقبال
بركة، ص 102).

8- ومن انحرافاته: ادعاؤه "أنه لا مانع من تزويج
المسلمة بالنصراني واليهودي! إذ لا يوجد نص
قرآني مانع من ذلك -في رأيه-" !! (مجلة
المسلمون، فبراير 1991) (العقلانية هداية أم
غواية، ص 134).

9- ومن انحرافاته: غلوه في العقل وتقديمه على
النقل. يقول خلف الله: "إن البشرية لم تعد في
حاجة إلى من يتولى قيادتها في الأرض باسم
السماء، فلقد بلغت سن الرشد، وأن لها أن
تباشر شئونها بنفسها" (مجلة الطليعة، نوفمبر
1975م).

ويقول هذا العقلاني: "لقد حرر الإسلام العقل
البشري من سلطان النبوة، من حيث إعلان انتهائها
كلية وتخليص البشرية منها" !! (الأسس القرآنية
للتقدم، ص 44).

10- ومن انحرافات هذا السفیه: قوله بأن: "
الإسلام حرر الإنسان من سلطان الرسل
والأنبياء" !! (مشكلات الحياة في القرآن
الكریم، نقلاً عن: تزييف الإسلام، ص 114).

11- ومن انحرافاته: ادعاؤه أن "الإسلام دين فقط
وليس ديناً ودولة" (تزييف الإسلام، ص 115).

وهو يتابع في هذا رأي علي عبد الرزاق وأضرابه ممن أرادوا فصل الدين عن الدولة في الإسلام. (انظر للرد عليه: إعادة النظر، لأنور الجندي، ص 302-307).

12- ومن انحرافاته: دعوته الملححة للديمقراطية الغربية، التي يقول عنها بأنها: "وفدت إلينا كعنصر حضاري من عناصر الثقافة الأوربية" (مجلة اليقظة العربية، العدد الأول، السنة الأولى).

13- ومن انحرافاته: زعمه أن المسلمين "إذا أرادوا التمتع بمعطيات الحضارة الغربية المادية فعليهم أن يعطوا ولاءهم لهذه الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، صحيحها وسقيمها، حقها وباطلها" !! (انظر: كتاب: الذين يحرثون في البحر، للأستاذ عبد الرحمن علي فلاح، ص 26).

14- ومن انحرافاته: دعواه "أن القرآن الكريم لم يحرم -في أي نص من نصوصه- التزاوج بين الأديان السماوية الثلاثة التي تقول بالتوحيد! - اليهودية والمسيحية والإسلام" (تزييف الإسلام، ص 121). فهو من دعاة وحدة الأديان والتقارب والتعايش السلمي فيما بينها.

15- ومن انحرافاته: قوله "يجب الإيمان بأن القرآن والاشتراكية يلتقيان معاً في الأرض التي تمهد باسم العلم" (تزييف الإسلام، ص 122-123).

يقول الأستاذ محمد إبراهيم مبروك: "ينظر الدكتور خلف الله إلى الإسلام من منظور مادي صرف وهو يتعامل معه على أنه أحد المكونات الأساسية لتلك الأمة، وأنه مادة تراثية من نتاج شعوبها، وعلى هذا فإنه يكاد يكون من المستحيل

تجاهله، بل يجب التعامل معه كفكر له تجاوبه العقلي والنفسي الراسخ في ضمير تلك الشعوب، ولكن لا يعني ذلك قبول مواد هذا الفكر كما هي وإنما هو يحاكمها إلى المعايير الغربية (الماركسية بوجه خاص) والذي يكون مقبولاً لدى تلك المعايير يكون مقبولاً عنده وما ترفضه يرفضه هو أيضاً" (تزييف الإسلام، ص 105).

قلت: فثبت بما سبق أن الدكتور خلف الله: اشتراكي، علماني، ديمقراطي، قومي، لا يعتمد القرآن والسنة مصدراً للتشريعات، بل صدرت منه الآراء والأقوال التي لا يشك مسلم في كفر من قال بها -نعوذ بالله من حاله-.

ملحق فيه رد المستشار سالم البهناوي عليه:

قال المستشار في كتابه (تهافت العلمانية في الصحافة العربية): **وقفه موضوعية مع الدكتور محمد خلف الله:**

في يوم الجمعة الماضي نشر للدكتور محمد أحمد خلف الله تصريحات خطيرة زعم فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم تقم له حكومة أو حكم بل إدارة أعمال، وأن من يطالب بحكم الإسلام إنما يطالب بحكومة دينية لا وجود لها بعد النبي، وأن ما لم يرد في القرآن فلا نلتزم به، أي لا يلتزم المسلم بالسنة النبوية، ثم عاد وادعى أن السنة لا يعمل بها، إلا إن كانت مبينة للنصوص القرآنية، غير قطعية الدلالة.

إنه من التحريف البين لنصوص القرآن الكريم وأحداث السيرة النبوية ما زعمه الكاتب المجتهد في قوله:

"لا نستطيع أن نسمي ما قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحكومة فما قام به هو شيء من إدارة الأعمال أكثر منه حكومة، ولو كان حكومة في ذلك الوقت لكان ملكاً وهذا مرفوض من وجهة نظر النبي، ففي حياته عرض عليه الملائكة من قريش أن يكف عن أعمال الرسالة ويعطوه الملك إن أراد حيث قالوا له: "إن كنت تريد ملكاً ملكناك، فأبى إلا أن يكون رسولاً".

هذا القول فيه تحريف ومغالطة وذلك على النحو التالي:

أولاً: صحيح أن الكفار قد طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعلوه ملكاً أو حاكماً عليهم ورفض ذلك، ولكن سبب الرفض هو أنهم أرادوا أن يترك رسالة الإسلام مقابل الحكم، فليس صحيحاً أن الرفض سببه أن النبي ما جاء ليحكم، فقد قال الله تعالى لنبيه (وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ)⁽¹⁾ وقال الله لنبيه داود (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ)⁽²⁾.

ثانياً: إن أحداث السيرة النبوية تؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أقام دولة في المدينة المنورة، وليس صحيحاً أن ما قام به من هذا الشأن هو إدارة أعمال فقط، فالنبي صلى الله عليه وسلم أقام دولة وحكومة بكل المقومات الحديثة للدولة. فإذا رجعنا إلى القواعد الدستورية الحديثة نجد أن الدولة لها مقومات ثلاثة:

1 () المائدة (49).
2 () سورة ص (26).

الأول: شكل الحكومة ودعامتها: والإسلام حدد ذلك من قول الله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) (1)

الثاني: السلطات ومصدرها ومن يتولاها: والإسلام يجعل التشريع هو القرآن والسنة .
الثالث: حقوق الأفراد وحياتهم: والإسلام قد كفل هذه الحقوق، قال الله تعالى: (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) (2)

والنبي صلى الله عليه وسلم قد ضمن حقوق الإنسان في إعلانه بحجة الوداع إذ قال: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا".
كما أن النبي صلى الله عليه وسلم بصفته رئيساً للدولة وضع القانون الذي ينظم العلاقة بين المسلمين وغيرهم، وهذا الكتاب قد جاء به "بسم الله الرحمن الرحيم". هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفتدون عانيهم بالمعروف والقسط" كما جاء بهذا الدستور "وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين" إلى أن قال: "وإن المؤمنين لا يتركون مفرجاً⁽³⁾ بينهم أن يعطوه المعروف في فداء وعقل... وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن... وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وأمن بالله

1 () الشورى: (38).

2 () البقرة (188).

3 () المفرح: المثقل بالدين الكثير العيال.

واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه ... وإنكم مهما
اختلفتم فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد
صلى الله عليه وسلم" (1) .

ثالثاً: المبادئ القانونية والتشريعية:

ففي نطاق القوانين المحلية بين المؤمنين
وغيرهم. والتي لم تصل إليها الدول إلا بعد أربعة
عشر قرناً. وتعرف باسم القانون الدولي الخاص.
فإن الكتاب الذي وضعه النبي كدستور لحكومته
بالمدينة تضمن أن المؤمنين أمة من دون الناس
وأنهم متضامنون في الحياة الاجتماعية وفي أداء
الديات. وأن هذه المعاهدة مفتوحة لمن أراد
الانضمام إليها من غير المسلمين .

وفي مجال تنازع القوانين حسم النبي الأمر
فقرر صلى الله عليه وسلم أنه عند اختلاف الديانات
فالقانون الواجب التطبيق هو شريعة الإسلام إذا
اختلف أصحاب هذه الديانة ولجأوا إلى محاكم
المسلمين.

أما في نطاق اتصال الدولة بغيرها من الدول
وهو ما يعرف حالياً بالقانون الدولي فالإسلام نظام
عالمي تضمن المعاهدات الداخلية والمعاهدات بين
الدول في السلم والحرب. قال تعالى (ولتكن
منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم
المفلحون) (2) وقال تعالى: (وإن طائفتان من
المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت
إحدهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي

(1) البداية والنهاية 3 / 224.

(2) آل عمران (104).

**حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا
بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب
المقسطين) (1) وقال تعالى : (إن الله يأمركم
أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين
الناس أن تحكموا بالعدل) (2)**

رابعاً: وأخيراً تعلق الباحث بأمر آخر فقال "لقد
نص القرآن الكريم على أن محمداً عليه السلام هو
آخر النبيين والمرسلين، ومعنى ذلك أن استمداد
الحاكم السلطة من الله لن يكون بعد وفاة النبي ،
فكل من جاء بعده وتولى الخلافة كان يستمد سلطته
من الناس وليس من الله " وقال: "ونستطيع أن
ننظر في الخلافة فنرى الخليفة يستمد سلطته من
الناس عن طريق البيعة، فإن كانت الحكومة
الإسلامية التي تطالب بها الجماعات الدينية، هي
الحكومة التي تستمد سلطتها من الناس فلا فرق
كبير بينهما وبين ما تمارس به الحكومة اليوم من
سلطات. وأما إذا كانوا يدعوننا إلى سلطة دينية فإن
السلطة الدينية لا تكون إلا من الله، وقد أعلن القرآن
الكريم أن محمداً عليه السلام آخر الأنبياء وخاتم
المرسلين، أي آخر الناس الذين يستمدون سلطتهم
في إدارة شؤون الحياة من الله".

إن هذا القول يخلط بين حكم الإسلام وبين
الحكومة الدينية التي ظهرت في أوروبا وكانت تدعي
أنها ظل الله في الأرض، وبالتالي فما يصدر عنها
يكون تشريعاً من الله لأنها جاءت بسُلطان من الله
تعالى.

وهذا الأمر يرفضه الإسلام جملة وتفصيلاً،
والقاصي والداني يعلم ذلك، فالقرآن الكريم قد حذر

1 () الحجرات (9).

2 () النساء (58).

من هذا السلطان الديني الكاذب وعده من أنواع الشرك بالله، وهذا ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم عندما جاء يعلن إسلامه وكان يحمل صليبا من ذهب حيث قال له النبي : (ألق عنك هذا الوثن وقرأ عليه قول الله تعالى : **(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم)** قال عدي: ما عبدناهم . قال النبي : ألم يحلوا لكم الحرام ويحرموا عليكم الحلال فتبعتموهم؟ قال عدي: بلى يا رسول الله . قال: فتلك عبادتكم إياهم" .

ولقد نص القرآن على أن الرسول هو خاتم النبيين وذلك ليمنع قيام مثل هذا السلطان الديني. فلا يملك أحد بعد النبي أن يشرع للناس بخلاف ما جاء في القرآن والسنة. وهذا هو الفيصل بين حكم الإسلام وبين ما يسمى بالحكومة الدينية، فحكم الإسلام هو تطبيق نصوص القرآن والسنة والتزام الحاكم والمحكوم بها، وليس إعطاء قدسية لبعض الحاكم يحلون ويحرمون من دون الله. فذلك هو الشرك مع الله كما جاء في القرآن وبينته السنة النبوية⁽¹⁾ .

وحسبنا ما كتبه الأستاذ الشيخ خالد محمد خالد في كتابه (الدولة في الإسلام) حيث اعترف بخطئه الفاحش فيما كتبه عن الحكم الإسلامي وأنه نوع من الحكومة الدينية في أوروبا وكان ذلك عام 1950 في كتابه "من هنا نبدأ" .

وقد بين أسباب انحرافه في هذا الفهم وساق الأدلة على أن الإسلام لا يعرف ما يسمى بالحكومة

1 () راجع السنة المفترى عليها، والحكم وقضية تكفير المسلم للمؤلف.

الوثنية وهذا ما تناوله في المقال القادم إن شاء
الله⁽²⁾.

وقفه أخوية مع الدكتور خلف الله بين الإسلام وحكومة الكهنوت

بتاريخ 19/11/1982 نشرت جريدة الوطن
حديثاً للأستاذ محمد خلف الله تضمن أموراً منها:
أ- لا نستطيع أن نسمي ما قام به رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالحكومة فما قام به هو شيء
من إدارة الأعمال أكثر منه حكومة.
ب- إن كل ما لم يرد في القرآن يكون غير ما
أنزل الله، فنحن نفكر ونتعامل بعقولنا مع كل ما هو
ناجم عن الفكر البشري وليس له أساس من كتاب
الله، أي أنه لم ينزل من عند الله.
ج- الحكم يجب أن يكون بما أنزل الله إذا كان ما
أنزل الله قطعي الدلالة أو ما بينه الرسول كان من
القرآن الكريم غير قطعي الدلالة.
لهذا .. وبتاريخ 20/11/1982 أرسلت إلى
رئيس التحرير رداً من ثلاث مقالات :
الأولى : تضمنت أن النبي أقام دولة وحكومة
شملت جميع مقومات الدولة والحكومة في الأنظمة
الدستورية المعاصرة.
الثانية: تضمنت أن ما أنزل الله يشمل القرآن
والسنة النبوية معاً وأن قصر ما أنزل الله على
القرآن وحده إنكار للسنة النبوية. كما أن ما جاء في
القرآن غير قطعي الدلالة لا يتوقف العمل به على
ورود حديث نبوي قطعي الدلالة.
الثالثة: تضمنت بيان الحكومة والسلطة في
الإسلام والفرق بينها وبين الحكومة الدينية التي

()² نشر بالوطن في 26/11/1982.

ظهرت في أوروبا. وأوضحت أن الإسلام لا يعرف هذا المفهوم الكنسي للحكومة.

ولقد قامت الوطن بنشر المقالة الأولى في الصفحة الدينية يوم الجمعة 26/12/1982 مصحوباً بكلمة من الوطن بعنوان: الدكتور خلف الله لم ينكر السنة لأن ما ورد في حديث الدكتور يشير إلى أن الدين من عند الله ورسوله الكريم. وإن العبارة الواردة أن الدين لا يكون إلا من عند الله فالمغزى منها واضح إذ يتجه القصد إلى اجتهادات المجتهدين والفقهاء وليس إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي اليوم المحدد لنشر المقال الثالث الخاص بالحكومة الدينية نشر بدلاً منه رد للدكتور محمد خلف الله عن الموضوع الخاص بهذا المقال الذي لم ينشر. فإن كان هو حرية الدكتور خلف الله في الرد فإن ذلك يكون بعد انتهاء المقالات التي سيرد عليها أو نشر مقالي ورده معاً.

لما كان ذلك وكان الدكتور خلف الله في رده قد طلب مني أن أجيب على أسئلة طرحها وطلب مني أن أهتدي بهدي القرآن الكريم لأخرج من الظلمات إلى النور وأهتدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم. فإنني أوضح الحقائق التالية:

أولاً: حقيقة أقوال الفقهاء:

إن جريدة الوطن ليست وكيلاً عن الدكتور خلف الله، ولا تملك أن تعبر عنه قصده، فعبارته "إن كل ما لم يرد في القرآن يكون غير ما أنزل الله" هذه العبارة في ظاهرها تفيد أن السنة النبوية ليست ما أنزل الله. وبالتالي تسري بشأنها القاعدة التي وضعها وهي أن نتعامل معها بعقولنا فنقبل منها ما

تقبله هذه العقول التي تختلف باختلاف الزمان
والمكان والأفهام والتأثيرات اليمينية واليسارية.
وإذا كان الدكتور خلف الله يقصد أن أقوال ابن
تيمية وابن القيم والمودودي وسائر الفقهاء ليست
بذاتها من عند الله، وبالتالي لنا أن نجتهد فيها وأن
نتعامل معها بعقولنا فهذا ما يقوله الصغير والكبير في
الجماعات الإسلامية التي أشار إليها الدكتور. فأقوال
الفقهاء تعرض على القرآن والسنة النبوية ولا تطاع
إلا في حدود موافقتها لهما.
ولكن سياق عبارة الدكتور خلف الله تشمل
السنة النبوية كما تشمل أقوال الفقهاء. فكان عليه
الإيضاح إن كان ما يقصده هو ما أجابت به جريدة
الوطن.

ثانياً: طبيعة الحكومة الإسلامية:

أورد الدكتور في رده أن الخلفاء لا يخلفون الله
من حيث أن الله لم ينص على ذلك كما نص في
خلافة داود. ومن حيث أن الخليفة يخلف غيره حين
يغيب لمرض أو سفر أو وفاة وليس يصح شيء من
ذلك بالنسبة إلى الله.

وتساءل الدكتور: هل أملك أن أعين خليفة لله
في أرض الله من غير أن يأذن الله . وأين هو الإذن ؟
ولن أجيب على ذلك بما أوردته في المقال الثالث
عن الحكومة الدينية التي كانت ظل الله في الأرض؛
لأن هذا قد أوقفت الوطن نشره.

وإنما أحيل الجميع إلى المقال الأول المنشور
يوم 26/11/1982 حيث جاء به بالحرف "إن قول
الدكتور خلف الله يخلط بين حكم الإسلام وبين
الحكومة الدينية التي ظهرت في أوروبا وكانت تدعي
أنها ظل الله في الأرض، وبالتالي فما يصدر عنها

يكون تشريعاً من الله؛ لأنها جاءت بسلطان من الله تعالى. وهذا الأمر يرفضه الإسلام جملة وتفصيلاً، والقاصي والداني يعلم ذلك. فالقرآن الكريم قد حذر من هذا السلطان الديني الكاذب وعده من أنواع الشرك بالله، وهذا ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم حين جاء يعلن إسلامه، فقد قرأ عليه النبي قول الله (**اتخذوا أhabارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**) فقال عدي: ما عبدناهم: قال النبي ألم يحلوا لكم الحرام ويحرموا عليكم الحلال فتبعتموهم؟ قال عدي: بلى يا رسول الله. قال فتلك عبادتكم إياهم". انتهى .

ثالثاً: بين النبوة والحكومة الدينية:

قال الدكتور: "لقد كان محمد -عليه الصلاة والسلام - يستمد سلطته من الله. فهل أمده الله بسلطة غير سلطة النبوة والرسالة. وهل أمد الله سبحانه وتعالى خلفاء محمد عليه السلام بمثل هذه السلطة؟ وطلب مني الدكتور أن أجيب. وجوابي أشرت إليه في المقال الأول على النحو السالف ثم قلت "ولقد نص القرآن على أن الرسول هو خاتم النبيين وذلك ليمنع قيام مثل هذا السلطان الديني فلا يملك أحد بعد النبي أن يشرع للناس بخلاف ما جاء في القرآن والسنة. وهذا هو الفيصل بين حكم الإسلام وبين ما يسمى بالحكومة الدينية" وأما سلطة الحكم ففي البند التالي:
ثم قلت: "الإسلام لا يعرف ما يسمى بالحكومة الدينية وهذا ما تناوله في المقال القادم إن شاء الله" ولكن المقال لم ينشر.

رابعاً: الحكم الإسلامي والحكومة الدينية:

يقول الدكتور خلف الله "أعتقد أن ما بيني وبين الأستاذ سالم البهنساوي قريب جداً وأن الاختلاف يمكن أن يقضى عليه عندما نقف عند المفاهيم القرآنية ولا نتجاوزها إلى مفاهيم أخرى عصرية، لم يقصدها القرآن الكريم أبداً. وأول هذه المفاهيم هو معنى الحكم الذي أشار إليه الأستاذ البهنساوي، وقدم الدليل عليه من القرآن الكريم حين أورد قول الله تعالى: **(وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ)**⁽¹⁾ ووقوف الأستاذ البهنساوي عند هذا الحد من الآية الكريمة هو الذي حال بينه وبين مفهوم كلمة الحكم من حيث أن كل الآيات التي وردت في القرآن الكريم لا تعني من هذه الكلمة الحكومة أو السلطة وإنما تعني بها القضاء بالعدل" ثم أورد آيات الحكم بما أنزل الله وعلق عليها بقوله "إن الحكم في هذه الآيات جميعها وفي كل آية وردت فيها هذه الكلمة لا يعني أبداً غير الفصل في الخصومات بالأحكام الشرعية التي وردت في التوراة والإنجيل والقرآن، الحكم في القرآن الكريم كله لا يعني غير القضاء والفصل في المنازعات. والحكم في القرآن الكريم لا يعني أبداً الحاكم الذي يستمد سلطته من الناس وينشئ الحكومة التي تدير شؤون الحياة في المجتمعات".

جوابنا على ذلك هو:

أ- لقد تضمن مقالي الأول أن السلطان الديني والحكومة الدينية بالمفهوم الكهنوتي لا يقول به مسلم. وقلت في نهاية المقال "فحكم الإسلام هو

1 () المائدة (49)

تطبيق نصوص القرآن والسنة والتزام الحاكم والمحكوم بها. وليس إعطاء قدسية ما لبعض الحكام يحرمون ويحلون من دون الله. فذلك هو الشرك مع الله كما جاء في القرآن وبينته السنة النبوية".

ب- لم يقل علماؤنا أن القرآن والسنة قد نصا على أشخاص يستمدون سلطتهم من الله في حكمهم للناس، فذلك هو المفهوم الكنسي للحكومة الدينية وهو ما يبطله الإسلام ويعده شركاً مع الله. ولكن قيام الحكومة من الناس واستمدادها السلطة من الأمة لا يعني أن هذه الحكومة تملك أن تصدر التشريع الذي يخالف القرآن والسنة النبوية. فهذا أمر مقبول في المجتمعات الغربية وله قواعد دستورية أهمها نظرية السيادة التي تجعل الشعب هو صاحب السيادة في التشريع. وفي المجتمعات الشيوعية يتولى الحزب الشيوعي نصب الحكومة التي لا تملك الخروج على مبادئ ماركس ولينين. أما الإسلام فالحكومة فيه تستمد سلطتها من الأمة ولكنها مقيدة في أعمالها وتصرفاتها، فلا تملك أن تخالف القرآن والسنة النبوية فإن فعلت كان قرارها باطلاً لا شرعية له. قال الله تعالى: **(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)** (1).

خامساً: الإسلام والدين والدولة :

يقول الدكتور خلف الله: إن النبي لم تكن له وظيفة أخرى غير النبوة والرسالة، وإذا كان الأستاذ البهنساوي يريد أن يؤكد للناس أن الإسلام قد كان له دولة فإنه عليه أن يقدم الدليل من القرآن الكريم. والجواب على ذلك هو:

أ- لماذا يقتصر الدليل على ما ورد في القرآن؟
فالدكتور لا ينكر السنة وعليه أن يطلب الدليل منها.
وإلا كان منكرًا لها حسب ظاهر أقواله.
ب- أوضحت في المقال الأول أن الدولة الحديثة
لها مقومات ثلاثة هي: شكل الحكومة والسلطات
الثلاثة وحقوق الأفراد. وكل ذلك قد جاء به القرآن.
وقدمت الدليل عليه من كتاب الله. كقول الله
**(وأمرهم شورى بينهم)⁽¹⁾ وقوله عز وجل (وإن
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا
بينهما فإن بغت إحدهما على الأخرى
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله
فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل
وأقسطوا)⁽²⁾ وأود أن يعلم الجميع أن الآية 25 من
سورة الحديد قد نصت على أن رسول الله كانت له
مهمة رئيسة هي إقامة الدولة والحكم بين الناس
بالقسط، قال تعالى: **(لقد أرسلنا رسلنا
بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه
أس شديد ومنافع للناس)** فهذا النص قد وضح
أن الرسل جاءوا للبشرية لإقامة حكم فيه:
1- سلطة تشريعية هي الكتاب الذي دل على
السنة.**

2- سلطة قضائية رمز إليها بالميزان.

3- سلطة تنفيذية رمز إليها بالحديد.

وقدمت الدليل من السنة النبوية، ومن ذلك
الدستور الذي وضعه النبي في أول حكمه بالمدينة
ليحكم العلاقات بين المسلمين وبينهم وبين غير

1 () الشورى (38)

2 () الحجرات (9)

المسلمين، وأن هذا الدستور يتضمن القانون الدولي العام والخاص.

ج- إن لم يكن الرسول حاكماً، وأمر المسلمين بإقامة حكم إسلامي. فما معنى قول الله (وَأَن أَحْكَم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ) وقوله سبحانه (ليقوم الناس بالقسط)؟

د- إن كانت وظيفة النبي هي النبوة والرسالة فقط - أي مجرد تبليغ الدين - فالحروب والغزوات التي قام بها لا تدخل ضمن ما حدده له بها ولا تدخل ضمن ما حدده له الدكتور من عمل الرسالة. وكذلك إعداده الجيوش والقواد لغزو الروم ثم التحرك بهم حتى وصل إلى تبوك وعقده صلحاً مع زعماء جرياء واذرج وأيلة. وهل تعيينه معاذاً حاكماً على اليمن من أعمال النبوة؟ وهل غزوة مؤتة المتجهة نحو الروم من أعمال النبوة؟ وهل تعيينه أمراء لجمع الزكاة جبراً من أعمال النبوة؟ أم أن ذلك من أعمال الدولة فقام بها الخلفاء؟

سادساً: جعل الدكتور خلف الله رده بعنوان:

"هل يجوز أن يكون الدين من عند غير الله" وساهمت الوطن في نشر ذلك في صفحتها الأولى وهذا يوحى أنني أجزئ ذلك ولا أحب أن أقول: أذلك قد ورد في مقالتي الأولى الذي نشرته الوطن يوم 26/11/1982 ومقالي الثاني المنشور يوم 3/12/82 وكلاهما تضمن أنه لا يحل لمسلم أن يقتصر علي ما جاء في القرآن فالدين يشمل القرآن والسنة معاً. والنبي يقول: "إني أوتيت القرآن ومثله معه"، والله تعالى يقول عن النبي عليه الصلاة

والسلام (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) ⁽¹⁾.

أما ما ختم الدكتور به رده في قوله "بقي أن أهمس في أذن الأستاذ البهنساوي بأن الدين غير التشريع، وأن مصدر الدين هو الله سبحانه وتعالى، أما مصدر التشريع فيكون القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين والإجماع والقياس وما إلى ذلك مما عده علماء أصول الفقه من مصادر التشريع والتي وصلت إلى تسعة عشر مصدراً".

فالجواب عليه:

1- أنه لو صح أن الدين غير التشريع لكان مصدر الدين هو القرآن والسنة وليس القرآن فقط، فإن الله تعالى يقول (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ⁽²⁾.

2- إن مصدر التشريع ينحصر في القرآن والسنة النبوية، لأن الإجماع والقياس وغيرهما مما عده علماء الأصول مصادر هي في حقيقتها ليست مصدراً مستقلاً. فلا حجة لها إلا إذا كان لها مستند من الكتاب والسنة. وهذا هو الذي يفرق بين الاجتهاد البشري وبين التشريع المنزل من عند الله والمتمثل في القرآن والسنة.

3- لقد ورد لفظ الدين في القرآن الكريم بمعنى التشريع والقانون في قول الله تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) ⁽³⁾.

وورد الدين بمعنى العقيدة في قول الله تعالى (لا إكراه في الدين) ⁽⁴⁾ وورد بمعنى المناسك

1 () النجم (3,4).

2 () الحشر (7).

3 () البقرة (193).

4 () البقرة (256).

التعبدية في قول الله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيها)⁽¹⁾.

وقد فصلت ذلك في كتابي "الحكم وقضية تكفير المسلم" المتضمن الرد على انحرافات بعض الشباب.

4- ولا يوجد أحد من المسلمين يقول: إن الإنسان أو الحاكم خليفة الله بمعنى أنه ينوب عن الله ويتولى سلطاته؛ لأن هذا ما أخبر النبي أنه شرك مع الله، في قوله لعدي بن حاتم عن الأحبار والرهبان (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله).

أما قول الله تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة)⁽²⁾ فليس معناه خليفة عن الله بل يفسره قول الله (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض)⁽³⁾ أي يخلف بعضهم بعضاً. فقد جاء في معاجم اللغة: خلف فلان فلاناً أي جاء بعده. ومنه قول الله (وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي)⁽⁴⁾ كما قال الله: (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً)⁽⁵⁾ فهذا خلف هذا أي جاء بعده. أما قول الله (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)⁽⁶⁾ أي أنفقوا من المال الذي أنتم عليه أمناء ويدكم عليه يد عارضة سيخلفكم فيه غيركم من الورثة وسيؤول إليهم.

1 () الشورى (13).

2 () البقرة (30).

3 () الأنعام (165).

4 () الأعراف (142).

5 () الفرقان (62).

6 () الحديد (7).

وختاماً نرجو أن يدرك الجميع أن ما نقلناه
وذكرناه ليس جدالاً ولا مرأء⁽⁷⁾.

وقفه نهائية مع الدكتور محمد خلف الله النبى والدولة.. والاجتهاد والنص

لقد نشر الدكتور محمد خلف الله كلاماً يتعلق
بالحكم الإسلامى والسنة النبوية، تناولته بالحوار لكنه
فى 17-12-1982 ادعى أنني فى حوارى معه نقلت
عنه غير الحقيقة بل أوهاماً توهمتها إذ لم أقرأ
النصوص قراءة سليمة ولم أفهمها فهماً دقيقاً،
وانتهى إلى أن ما يقوله هو الحق وما قلته هو الباطل
وطلب أن أهتدى معه إلى هذا الحق وأترك الجدل.
ولما كان دفاعى لا يتعلق بشخصى بل ينصب
حول وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم ومنزلة
السنة النبوية مع الدين والتشريع وهذا أمر لا يملك
أحد منا أن يبتدع فيه حكماً كما أن ما قاله كل منا
ليس سراً لم يطلع عليه أحد بل قد نشرته الصحف
اليومية ويمكن الاحتكام إليه دون تراشق بالألفاظ أو
تحويل الكلمات.

فأضع صاحبي والقراء أمام الحقائق

التالية:

أولاً: السنة وقيام دولة فى عصر النبى :
لقد قال بالحرف فى مقاله يوم 19 نوفمبر

الماضى:

"لا نستطيع أن نسمي ما قام به رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالحكومة، فما قام به هو شيء
من إدارة الأعمال أكثر منه حكومة".
وفى رده يوم 17 ديسمبر طلب مني:

() 7 نشر بالوطن يوم 17/12/82.

أ-ألا أخلط بين شؤون الدولة والحكم، وبين شؤون النبوة والرسالة.

ب-أن يكون سندي في كل ما أرغب في الوصول إليه هو القرآن الكريم.

ج-الأ أنكر ولا غيري صحة قوله "إن ما لم يرد في القرآن يكون غير ما أنزل الله".

وأضاف أن القارئ قد فطن إلى أن قوله هذا لا يتصل بقريب أو بعيد بعنوان مقالي الثاني "السنة بين المستشرقين وعلماء السلطان".

والجواب على ذلك هو:

1-أن تكرار طلبه أن يكون دليلي هو القرآن لهو أكبر دليل على عدم أخذه بالسنة النبوية.

2-أن عبارته التي يدعي أنني لم أفهمها وهي "أن ما لم يرد في القرآن يكون غير ما أنزل الله" لا تحتاج إلى إعمال نظر في الفهم، فهي صريحة أن كل ما لم يرد في القرآن ليس من عند الله، يدخل في ذلك السنة النبوية وهو حتى اليوم لم يصرح باحتكامه إلى هذه السنة.

3-إن المسلم لا يملك أن يقول: إن السنة النبوية غير ملزمة بدعوى أنها لم ترد في القرآن أو أن يقول أنه لا يأخذ من السنة إلا ما كان بياناً لما في القرآن، وهذا هو إجماع المسلمين لما يأتي:

الأول: لتبين أن القرآن أمرنا بطاعة الرسول

فيما أمر به أو نهى عنه (وما آتاكم الرسول

فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (1).

وقطعاً فهذا أمر آخر غير القرآن، فمن قال: غير القرآن لا يكون من عند الله دون أن يستثني السنة

1 () الحشر (7).

النبوية، يدخل هذه السنة في الفكر البشري الخاضع للاجتهاد وهذا ما يحاوله صاحبنا.

الثاني: أن قول الله (**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**)⁽¹⁾ يخول الرسول بيان ما جاء في القرآن، وهذا البيان يشمل أيضاً كل حكم جديد ليس في القرآن كتحریم لحم الحمر الأهلية وهذا ما فصلته في المقال الثاني مع مزيد من الأمثلة والأدلة من القرآن والسنة، وكذلك تحريم زواج العمات والخالات، وهذا ما عليه إجماع المسلمين، وصاحبنا يقول بخلافه، وهو ما يقول به المستشرقون وبعض الحكام سواء من غير المسلمين أو مسلمين نكسوا على رؤوسهم. فهل ما أجمع عليه المسلمون بشأن السنة النبوية وهو ما نتمسك به هو الضلال، والبدعة التي ينادي بها الدكتور خلف الله هي الحق الذي يجب أن نهتدي إليه؟

ثانياً: النبي والدين والدولة:

كرر صاحبنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينشئ حكماً ولا دولة بل قام بإصلاح إداري، ولم يبين الدولة والحكومة التي أسندت إلى النبي صلى الله عليه وسلم الإصلاح الإداري المزعوم، والغريب أن الإسلام في رسالته الخاتمة قد تميز بتنظيمه للدولة في شؤونها الداخلية والخارجية، وقد أوضحت في المقال الأول أن هذا من مهام الرسل استناداً إلى الآية 25 من سورة الحديد، التي أشارت إلى مقومات الدولة والسلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية.

1 () النحل (44)

ولكن صاحبنا قد تجاهل ذلك وادعى أن قول الله تعالى **(يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق)** ⁽¹⁾ أمر خاص بنبي الله داود ولا ينطبق على خاتم المرسلين، ويزعم أنه لم يرد في القرآن نص بذلك.

وبهذا المنطق المعكوس يستطيع كل جاهل أو محرف لدين الله يقول إن صلاة الصبح أو صلاة الظهر لم ترد في القرآن فلا نلزم بها أو إن زكاة المعادن لم ترد في القرآن فلا نلزم بها. ومع عدم تسليمنا له أن يكون الدليل من القرآن فقط لأن في هذا إنكاراً للسنّة النبوية.

فإن القرآن الكريم قد قال لنبيه والمؤمنين معه: **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)** ⁽²⁾ وقال الله تعالى: **(واعلموا أنما**

غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول) ⁽³⁾ كما قال الله لنبيه في شأن أسرى معركة بدر **(وما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض)** ⁽⁴⁾ فهذه الآيات وغيرها مما أوردته في المقال الأول متعلقة بأمور السلم والحرب، لا يمكن أن ينفذه النبي صلى الله عليه وسلم إلا من خلال حكومة ودولة.

فهل كانت المدينة المنورة تحت حكم اليهود أو الوثنيين من العرب ونفذوا للنبي صلى الله عليه وسلم هذه الآيات القرآنية لأنه قام بإصلاح إداري لحسابهم!

1 () ص (26).
2 () الأنفال (39).
3 () الأنفال (41).
4 () الأنفال (67).

ثم كيف ينكر مسلم أن أول شيء فعله النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة هو أن وضع وثيقة ودستوراً يحكم العلاقة بين أفراد الدولة التي أقامها سواء من المسلمين أو اليهود أو غيرهم، وقد جاء في ديباجة هذا الدستور أو هذه الوثيقة أو هذه الصحيفة "هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم بالحق ولحق بهم"، وجاء بهذه الوثيقة عن اليهود أن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. وقد حدد هذا الكتاب حدود الدولة وسماها النبي بحرم المدينة.

وهذا الكتاب يقع في 47 مادة أو بنداً فما حكم من أنكره؟ لقد حصر الدكتور محمد حميد الله الوثائق السياسية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فبلغت 244 وثيقة، منها هذا الدستور وصلاح الحديدية، الذي تضمن وضع الحرب 10 سنين والذي جاء ذكره في القرآن الكريم في سورة الفتح، فهل هذه ليست دليلاً على الدولة؟ وهل المشورة في الحروب التي قادها النبي صلى الله عليه وسلم ليست إلا لجاناً من أولي الأمر ولا تدل على وجود دولة؟ ولم يقم بها الرسول الكريم، كما يدعي الدكتور خلف الله؟

وإذا كانت مشورة النبي في الحروب "ليست دليلاً على الدولة وخصوصاً عندما تكون هذه اللجان من أولي الأمر إلى جانب النبي"، وهو ما ادعاه الدكتور خلف الله. فمن هم أولو الأمر الذين شكلوا هذه اللجان بجانب النبي صلى الله عليه وسلم؟ وإذا قلنا ذلك نكون محرفين للنصوص أو لم نفهمها فهماً دقيقاً ونكون قد قلنا الباطل؟

وإلى من يتوجه الخطاب في قول الله تعالى:
**(يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد
أمروا أن يكفروا به)** ⁽¹⁾ ، لقد نزل هذا على النبي
في عصره فهل التحاكم في هذا النص وغيره موجه
إلى أفراد ليس لهم سلطان الدولة التي تحتكم إليها
وإلى مؤسساتها الدستورية؛ لأن القرآن لا يحكم هو
بين الناس بل يحكم به الحكام ومن يسندون إليهم
هذا الأمر من القضاة والأمراء؟ العالم في أي جانب
من الجوانب الكونية إذا ما حمل بين جوانحه قلباً
مؤمناً بالدين، يستحيل ألا يزداد إيمانه؛ لأن علمه
بأسرار الكائنات هو في الوقت نفسه علم بعظمة من
خلق تلك الكائنات، وبدأها وسواها وأجراها على سنن
منظومة، هي التي يكشف عنها العلماء ويطلقون
عليها اسم "القوانين العلمية". "ومن أبرز الفوارق
بينهما، أي الدين والعلم، مما لا بد أن نكون على وعي
شديد به. هو أن مبادئ الدين ثابتة عند المؤمنين بهذا
الدين؛ لأنها معايير يقاس بها السلوك، ولا بد للمعيار
أن يحتفظ بمعنى واحد، وإلا فقد معياريته، وأما العلم
فهو متغير مع تقدمه في تعاقب العصور..".
ج- وفي مقاله المنشور في الأهرام والوطن يوم
5/4/88 يقول : العقيدة مدارها التوحيد والقيم
الضابطة للسلوك، ويرجع في ذلك إلى الأصلين،
القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم إذا
ما أشكل أمر لم يرد عنه نص في هذين الأصلين،
فمرجع المسلم فيه العقل، ولا فرق بين أن نقول إنه
العقل أو إنه إجماع الرأي عند الثقات. والنضج
العقلي يكون بالقدرة على تمثيل المبادئ التي نزل

1 () النساء (60).

بها دين الإسلام، والتزامها في استدلالاته العقلية بعد ذلك، كلما أراد لنفسه هداية في دنيا السلوك".
لا ينكر أحد أن الرسل يحكمون؛ لقول الله تعالى:

(ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباد لي من دون الله) (1) ويقول الله تعالى: **(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) (2)** وإن كان فهمي هذا باطلاً مع أنه إجماع فقهاء الأمة فمن من الفقهاء فهم مثل فهم الدكتور خلف الله وادعي أن مصلحة الناس تقدم على النص وهو القرآن أو السنة أم أن الإجماع أن المصلحة تقدم إذا لم تتعارض مع القرآن أو السنة (3).
وأخيراً فأحيل القارئ إلى مقالي التالي والذي نشر بالأهرام حيث قد عرى الدكتور خلف الله من تمسحه بالقرآن الكريم .

القومية والقرآن العصري بين خلف الله وسيف الدولة

نشر الأستاذ الدكتور "محمد أحمد خلف الله" مقالاً في صفحة الحوار القومي تناول موضوع القومية العربية والإسلام، تطرق فيه إلى مقال للأستاذ "محمد حامد أبو النصر"، ومقال للمرحوم الأستاذ "عمر التلمساني".
وقد علل الدكتور "خلف الله" رده بقوله "مقال المرشد العام، قد أفسد الجو بين القومية العربية والإسلام إلى الحد الذي لا يصح معه السكوت أبداً".

1 () آل عمران (79).

2 () النساء (105).

3 () نشر بالوطن في 24/12/82.

كما وصف مقال المرشد الراحل الأستاذ عمر التلمساني بقوله: "إنه الأقرب إلى مفهوم وحدة الأمة الذي جاء به القرآن الكريم" وبقوله "إنه يرفع التناقض بين العروبة والإسلام" وكما قدم الدكتور خلف الله نفسه للقراء في قوله: وعلاقة الإسلام بالعروبة إنما تتحدد بما حدده القرآن الكريم لهذه العلاقة وليس أبداً بما نفرضه نحن على هذه العلاقة، فهل جعل الدكتور خلف الله الإسلام هو الفيصل فيما اختلف فيه؟ إنه لم ينزل إلى حكم الإسلام في مقاله هذا، وفي فكره القومي بصفة عامة، في الوقت الذي يقول فيه إن القرآن هو الذي يحدد علاقة الإسلام بالعروبة لهذا ودفاعاً عن الإسلام نركز على الآتي:

علاقة الإسلام بالعروبة:

ذكر أن القرآن الكريم حين يحدد العلاقة بين العروبة والإسلام، يجعل العروبة هي الأصل ويجعل الإسلام هو الفرع، ثم يذكر أن الثقافة الإسلامية تؤكد ما جاء به القرآن من أن الإسلام مرتبط بالعروبة ارتباطاً عضوياً، وأن الأصل العروبة وليس الإسلام، وهذا الذي يذكره الدكتور خلف الله لا يوجد أي دليل عليه من القرآن الكريم الذي جعل العقيدة هي الأصل وليست العروبة أو غيرها.. قال تعالى: **(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)** (1).

1 () التوبة (24) ، وهذا الرد قد نشر بتاريخ 10/6/1987.

وهاهو المفكر القومي الدكتور عصمت سيف الدولة في كتابه "عن العروبة والإسلام" يصحح هذا الخطأ فيقول: (لا مجال إذن للخلط بين علاقة الانتماء إلى العروبة وعلاقة الانتماء إلى الإسلام، لا في الأشخاص ولا في المضمون.... إن الإسلام علاقة انتماء إلى دين خالد في الزمان بحكم أنه خاتم الرسالات والأديان وخالد في المكان بحكم أنه رسالة إلى كل البشر، أما العروبة فعلاقة انتماء مقصورة على شعب معين) ⁽¹⁾ ويقول: (وإن من المنافقين من أبناء أمتنا العربية من يناهضون الإسلام باسم العروبة) كما يقول: (ولا نتبع هنا كل صور النفاق الذي يخفي مناهضة الإسلام بالعروبة ومن أشكال هذا النفاق ما هو ظاهر السذاجة).

من ذلك الاستعلاء على الإسلام باسم العروبة، فالاستعلاء استئصال يمهد للاستغناء .

حيث يفاخر بعض العرب بأن الرسول قد كان منهم، وكان القرآن بلغتهم وبأن في ذلك آيتين على أن الإسلام دين العرب وفضلهم على الناس كافة، وأنهم استحقوا أن توضع الرسالة فيهم فوضعت. إنهم ينافقون الشعب العربي يبغون مرضاته، ربما ليقبلهم في موقع القيادة منه، ولكنهم يجعلون من الإسلام ثمرة من ثمار حضارة ينسبوننها إلى أمة عربية لم توجد قط، كأن العروبة هي الأصل وما كان الإسلام إلا فرعاً، ونشهد أننا لم نقرأ ولم نسمع شيئاً أكثر جهالة من هذا الذي اختاره بعض العرب أسلوباً لمناهضة الإسلام باسم العروبة) ⁽²⁾.

لا جدال أن الإسلام مثلما جاء للعرب وبلغتهم، فإنه جاء للناس كافة فكما قال الله تعالى: (إنا

1 () كتاب العروبة والإسلام ص 24.

2 () نفس المصدر ص 182.

أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم ⁽¹⁾، قال تعالى: **(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم..)** ⁽²⁾ وقال الله تعالى: **(وأرسلناك للناس رسولاً)** ⁽³⁾ وقال تعالى: **(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً)** ⁽⁴⁾.

الإسلام والقومية:

يقول الدكتور: (يخطئ المرشد العام "أبو النصر" لأنه قد ذهب إلى أن العروبة هي اللسان واللغة وليست القومية).

والدكتور لا ينكر أن القومية مذهب يؤمن به الإنسان عند إدراكه، أما العروبة فهي انتساب إلى وطن والأصل فيه اللغة، ولهذا قال المفكر القومي الدكتور "عصمت سيف الدولة" (إن الإسلام علاقة انتماء تنشأ بالتمييز فالإدراك فالإيمان : أما العروبة فعلاقة انتماء إلى وضع تاريخي تدرك العربي منذ مولده وتصاحبه حتى وفاته ولو لم يكن مميزاً) ⁽⁵⁾.

فإذا أريد بالقومية تفضيل العرب على غيرهم فالنبي صلى الله عليه وسلم قال "من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه" وقال : "يا فاطمة بنت محمد أعملي فأني لن أغني عنك من الله شيئاً".

وإذا أريد بالقومية، رابطة تناهض الإسلام فالله يقول: **(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)** ⁽⁶⁾ أما إذا كانت القومية أن يصبح العرب أمة واحدة تتفاعل فيما بينها للدفاع عن أرضها وشعبها

1 () المزمّل (15).

2 () المائة (19).

3 () السناء (79).

4 () سبأ (28).

5 () المصدر السابق ص 23.

6 () الأحزاب (36).

وتعمل من أجلهم وتجاهد من أجل عقيدتهم
المشتركة فهذا لا ينازع فيه أحد من العرب
والمسلمين، -إن كانوا عرباً أو مسلمين- وهذا ما
أوضحه الدكتور "عصمت سيف الدولة" الذي أشاد
برأي الإمام "حسن البنا" مؤسس جماعة الإخوان
في ذلك.

ويقول خلف الله : (حين دعا النبي صلى الله
عليه وسلم العرب إلى أفراد الله بالعبادة، كان يعتبر
ذلك البديل للشرك العربي الممثل في اللات والعزى
وما إلى ذلك.. ثم ترتبط الصلاة بالأرض العربية
ويرتبط الحج بالأمكنة العربية والأزمنة العربية وكذلك
الصوم يراه مرتبطاً بالشهور العربية، فهل يستطيع
المسلم أن يؤدي فرائض دينه في غير مقوماتها
العربية، وإن كل الذين دخلوا في الإسلام سواء
تعربوا أم لا ، إنما يمارسون حياتهم الدينية من حيث
الفروض والواجبات على أساس من العروبة وليس
يصلح لغير العربية أن يقيم الدين الإسلامي إلا على
أساسه العربي وإلا كان ما سيؤديه إسلاماً آخر).
ولسنا ندري ما هو النص سواء الآية القرآنية
الكريمة، أو الحديث النبوي الشريف الذي يجعل
إسلام الأوروبي إسلاماً آخر إذا صلى بغير اللغة
العربية!

ثم ما هو النص الشرعي الذي يجعل أفراد الله
بالعبادة بديلاً عن الشرك العربي، فعبادة الله وحده
ليست بديلاً عن الشرك فهي أصل والشرك عارض
وطارئ.

الهدف من الإسلام:

إن القرآن الكريم قد حدد الهدف من رسالة
الإسلام في آيات لا نكاد نحصيها منها قول الله تعالى:

(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) (1)

ولكن الدكتور يقول : (إن الهدف من الرسالة الإسلامية أولاً وقبل كل شيء هو الارتفاع بالمستوى الحضاري للأمم العربية، وذلك عن طريق الرسول الذي يعلمهم الكتاب والحكمة).

وأين هذا من الآيات القرآنية التي تحدد رسالة الإسلام بإخراج الناس من الظلمات إلى النور عن طريق اتباع تشريع الله الممثل في القرآن والسنة، إذ قال الله تعالى: **(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به...)** (2). وقال الله تعالى: **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم...)** (3)

إقليمية الرسالة:

يحاول الدكتور "خلف الله" أن يجعل من العروبة رسالة يصبح الإسلام تابعاً لها كما جعل العروبة هي الأصل والإسلام هو الفرع، فيقول: (وعروبة القرآن أو اختيار المولى سبحانه وتعالى للغة العربية لتكون لغة الوحي إنما كان بسبب أن الرسالة الإلهية موجهة إلى الأمة العربية أولاً وقبل كل شيء).

وسبق أن ذكرت رد الدكتور "عصمت سيف الدولة" من أن الإسلام رسالة للناس كافة، أما العروبة فانتفاء إلى شعب معين. وقد ختم هذه

1 () المائدة (48).

2 () النساء (60).

3 () النساء (65).

القضية بقوله: (كانت خلاصة ما تقدم من تخريب وتغريب أن نشأت في كل قطر عربي طبقة قومية الانتماء إقليمية الولاء، مادية الباطن إسلامية الظاهر فردية البواعث، نفعية الغايات، رأسمالية النشاط، اجتماعية الأرباح، يتعلق بها وتتغذى عليها شخوص من الفلاسفة والمفكرين والكتاب والأساتذة والتلاميذ... وهي طبقة نشأت مع الاستعمار؛ لتؤدي بالنيابة عنه ولحسابه نقض الحضارة العربية من بناء شخصية الإنسان العربية)⁽¹⁾. إنه لا يجهل أحد أن الإسلام جاء للعرب، ولكنه أيضاً جاء للناس كافة وهذا ما يدركه الدكتور خلف الله الذي لا نعيه بالاقتباس الأخير.

حقيقة فكر الدكتور "خلف الله" :

إن الدكتور خلف الله يستشهد بالآيات القرآنية الكريمة؛ ليوهم القارئ أن العروبة هي الأصل والإسلام هو الفرع، ويرتب على ذلك نتائج خطيرة لم يذكرها صراحة في مقاله، ولكنه نشرها في مقالات وكتب وهذه أهمها:

1- بحوث الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية المنشورة في كتاب باسم "القومية العربية الإسلام" والمنشور 1981. وفي هذه البحوث يرد الدكتور "محمد خلف الله" على المفكرين الذي يربطون بين الإسلام والقومية العربية فيقول: يطلب للربط بين الإسلام والقومية العربية التنازل عن العلمانية، وهو ما لا يمكن أن تتخلى عنه القومية العربية؛ لأن ممارسة الحياة على أساس من العلمانية يمنح المجتمع حرية وانطلاقاً في

1 () المصدر السابق ص 429.

تحقيق المصلحة العامة، على أساس من الحضارة العلمية أكثر مما يمنحه الإسلام⁽¹⁾.
2- وكتابه الأسس القرآنية للتقدم، يصرح بأكثر من ذلك فيقول: (تبقى بعد ذلك عملية تحرير العقل البشري من السلطة الدينية المتمثلة في نظام النبوة)⁽²⁾.

ويقول: (لقد حرر الإسلام العقل البشري من سلطان الآلهة فيما عدا سلطان الله)⁽³⁾ ولكنه يقول: (أرجو أن يطمئن القارئ إلى الأساس الذي بني عليه التوحيد وكيف كان تحرير العقل البشري من سلطان الآلهة بما فيهم سلطان الله)⁽⁴⁾.

لما كان ذلك كذلك فليس للدكتور "خلف الله" أن يلبس هذا الفكر اللاديني ثوب القرآن الكريم، وله إن شاء أن يكون علمانياً أو لا دينياً ولكن ليس له صلاحية تحويل نصوص القرآن الكريم، هذا ما نبه عليه الدكتور "عصمت سيف الدولة" في فصل النفاق وفصل العلمانية بكتابه سالف الذكر⁽⁵⁾.

براءة القرآن من أركسة القوميين :

بتاريخ 17/6/1987 نشر الدكتور محمد خلف الله مقالاً عن عروبة الإسلام ذكر فيه أنني ممن يعيشون في الوهم الذي صنعتها القومية الفارسية، وأن وهما آخر يرسخ في ذهني، وهو أن عروبة الإسلام ضد عالميته، وعالميته تقتضي فصله عن عروبه، وذلك على الرغم من أنني لم أكتب ذلك ولم أقله.

1 () كتاب القومية العربية والإسلام ص 55.
2 () الأسس القرآنية للتقدم ص 41.
3 () المصدر السابق ص 44.
4 () المصدر السابق ص 36.
5 () نشر بالأهرام بتاريخ 10/6/87 في صفحة الحوار القومي.

وكنا نود أن يدعن الدكتور "خلف الله" لحكم الإسلام في تحديد العلاقة بين الإسلام والعروبة والقومية، وخصوصاً وأنه يكرر أن الحقائق القرآنية لا يمكن أن تكون موطن الجدل ومحل الشك والارتياب.

غير أنه تعصب لفكره القومي العلماني، وحاول أن يجعل القرآن الكريم وسيلة لتأييد هذا الفكر مع مناهضته للإسلام حسبما فصله مقالتي السابق. فهاهو قد كتب في ذات الصفحة مقالين تناولوا كلامي وكلام الدكتور عبد الصبور شاهين "نشر الأول في 17/6 بعنوان "عروبة الإسلام" والآخر في 24/6 بعنوان "القومية حقيقة قرآنية".

وقد وضح، أنه يحاول إيهام القارئ أن الحوار كان يدور حول مسمى المقالين، بينما القضية الرئيسة في الحوار تمثلت في سؤال صريح بدأت به مقالتي السابق وهو (هل جعل الدكتور "خلف الله" الإسلام هو الفيصل فيما اختلف فيه)؟ ثم أجبت بقولي: (إنه لم ينزل على حكم الإسلام في مقاله هذا وفي فكره القومي بصفة عامة).

وقد استندت في إجابتي المذكورة إلى فقرات كاملة من أقواله، كما استشهدت على بعد فكره عن القرآن الكريم بآيات عديدة منه، وبفقرات من كلام الدكتور "عصمت سيف الدولة".

فما كان من الدكتور "خلف الله" إلا أن أغفل هذه الحقيقة .

والحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان أن الدكتور "خلف الله" هو الذي حدد عقيدته لنفسه، وهي التي تباعد بينه وبين الدكتور "سيف الدولة" وغيره من الملتزمين بحكم الإسلام، بل ومن المنصفين من

الباحثين غير المسلمين، وما كان دوري إلا أن أظهرت هذه الحقيقة، وما زال الأمر بيده إن شاء ترك فكره الذي يناهض الإسلام بالعروبة والقومية، وإن شاء أصر على موقفه السابق، غير أنه لا يوجد باحث منصف يقره على نسبه هذا الفكر إلى الإسلام. أما أنه يوهم القارئ أن الحوار كان يدور حول مسمى مقالته سالف الذكر، يتضح من قوله (تلك هي القضية الأساسية التي لم تستوعبها الجماعات الدينية بعد، التي يثور بشأنها الجدل والحوار ويقع ذلك على الرغم من أن عروبة الإسلام حقيقة قرآنية..).

كما تتضح هذه المحاولة من عبارات أخرى له منها قوله: (إن القرآن الكريم لم يتخذ موقفاً معادياً للقومية) وبهذه المحاولات يتجاهل أن مقالتي محل رده هذا، قد ورد به (إذا كانت القومية أن يصبح العرب أمة واحدة... فهذا لا ينازع فيه أحد من العرب أو المسلمين).

كما تجاهل أن الدكتور "عصمت سيف الدولة" وهو من كبار المفكرين القوميين، قد حدد موقف كبرى الجماعات الإسلامية من العروبة والقومية بقوله: (إن الأمة العربية هي أمة الإسلام وإنجاز ثورته، وحاضنة حضارته، وحاملة رسالته إلى كل شعب يقبلها بدون إكراه، في أي دولة من دول الأرض، وهذا ما فطنته جماعة الإخوان المسلمين بإرشاد قائدها الشهيد "حسن البنا" (ص 165). ولعل الدكتور محمد خلف الله قد اطلع على رسالة المؤتمر الخامس للشهيد حسن البنا الذي حدد الموقف من الوحدة القومية والعربية والإسلامية فقال (إن هذا الإسلام الحنيف نشأ عربياً ووصل إلى

الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه الكريم بلسان عربي مبين وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين، وقد جاء في الأثر: إذا ذل العرب ذل الإسلام..) ص 176.

ولعل الدكتور "خلف الله" لا ينكر أنه قد اقترن

بالدعوة إلى القومية العربية تياران: **أحدهما:**

عَلَماني يحاول أن يجعل من القومية مذهباً يناهض الإسلام وهو ما قال عنه الدكتور "سيف الدولة" ((إن الاستعلاء على الإسلام بالعروبة مناهضة وأركسة) أي قلب للحقائق (ص 185) (ويجعلون من الإسلام ثمرة

من ثمار حضارة ينسبونها إلى أمة عربية لم توجد قط، كأن العروبة هي الأصل وما كان الإسلام إلا فرعاً منها. ونشهد أننا لم نقرأ ولم نسمع شيئاً أكثر جهالة من هذا الذي اختاره بعض العرب أسلوباً لمناهضة الإسلام باسم العروبة) (ص 182 من كتابه عن العروبة والإسلام).

أما التيار الآخر، فيضع القومية العربية في موضعها الطبيعي داخل النظام الإسلامي، ولهذا نادى "الكواكبي" بانتقال الخلافة إلى العرب وأن تتكون جامعة إسلامية يتم توزيع وظائفها وفقاً لأهليات وخصال الأقسام المسلمين.

وحقيقة فكر الدكتور خلف الله أنه يتبنى اتجاه التيار الأول، ولقد برهنت على ذلك في مقالي السابق فنقلت عنه إصراره على أن تظل القومية العربية إسلامية، لكن بشرط أن لا تتخلى عن العلمانية. كما نقلت عنه ادعاءه أن الأساس الذي بني عليه التوحيد هو تحرير العقل البشري من سلطان الآلهة بما فيهم سلطان الله) (1).

1 () كتاب الأسس القرآنية للتقدم ص 36 للدكتور خلف الله.

ولقد حاول الدكتور "خلف الله" أن ينقل القارئ إلى موضوع آخر يبعدنا عن الحوار سالف الذكر فحشد الآيات القرآنية التي تدل على الصلة بين الإسلام والعربية والقومية، ثم قال: إن مصر تحركت بعد زوال الخلافة العثمانية وطالبت بالخلافة للملك "فؤاد" وقال: (إن المرحوم الأستاذ "حسن البنا" كان من الذين يتظاهرون من أجل عودة الخلافة في مصر "ولأحمد فؤاد").

ولكن مذكرات "البنا" ورسائله لا تتضمن ذلك، ولم يسند الكاتب هذا إلى أي مصدر تاريخي، والمصادر تثبت أن "البنا" كان آنذاك طالباً بدار المعلمين بدمنهور، والملك "فؤاد" لا يجرؤ في التفكير بالخلافة الإسلامية فضلاً عن أن يرشح نفسه حتى تقوم مظاهرات بتأييده، فهذا الملك كان أحد أدوات بريطانيا التي أسقطت الخلافة الإسلامية وخذعت العرب بوعده ونفذت وعداً آخر لليهود، وفي سبيل ذلك قسمت بلاد العرب بينها وبين فرنسا طبقاً لاتفاق "سايكس بيكو".

وأخيراً يؤيد الكاتب فكره بأن كلمة الناس في أكثر آيات القرآن الكريم تعني العرب، أو المشركين منهم، من ذلك قول الله تعالى: **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)**⁽¹⁾ وقال الناس هنا هم العرب فالقبائل توجد فيهم إلى اليوم ولا توجد بمصر مثلاً، وقد نسي أن أصول اللغة العربية تقتضي أن اللفظ العام يظل على عمومته ما لم تدل القرائن على أنه خاص، والعموم هنا لا دليل على تخصيصه بالعرب؛ لأنه إن كانت القبائل فيهم فهي توجد أيضاً في

1 () الحجرات (13).

أفريقيًا بل وأوروبا، كما أن الذكورة والأنوثة والشعوب ليست خاصة بالعرب بل للناس كافة. وفي الختام فإن لكل شخص أن يعتقد ما شاء من العقائد والأفكار، ولكن ليس له أن يفرض على القرآن الكريم مذهباً قد ظهر على أيدي غير المسلمين، ثم تبناه بعض من أعلنوا العلمانية التي تختلف مع الإسلام، والقرآن منها براء كل البراءة، ولكن "خلف الله" يريد أن يفرض على القراء مذهبه اللاديني، وينسب هذا الباطل إلى القرآن الكريم، وبهذا يستخف بعقول القراء ويستخدم أسلوباً من النفاق الذي حذر منه الدكتور عصمت سيف الدولة⁽¹⁾. انتهى رد الأستاذ سالم البهنساوي -وفقه الله للخير-.

نظرة شرعية في فكر (محمد عابد الجابري)

ترجمته⁽²⁾:

- كاتب مفكر مغربي معاصر. ولد بالمغرب عام 1936م، وحصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة عام 1967، وعلى دكتوراه

1 () أرسل هذا المقال في 28/6/1987 بالبريد المسجل إلى جريدة الأهرام كرد على مقالي خلف الله ولكن المسئول عن صفحة الحوار وهو الأستاذ لطفي الخولي، لم ينشر المقال، كما لم ينشر رد شيخ الأزهر!

2 () انظر: مجلة الجديد في عالم المكتبات، العدد 17، وكتابه حفريات في الذاكرة، وغلاف كتابه (الخطاب العربي المعاصر) في طبعته الخامسة عام 1994م، مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت. ورسالة الدكتور مفرح القوسي (المنهج السلفي والموقف المعاصر منه في البلاد العربية) (2/561).

- الدولة في الفلسفة عام 1970م من كلية الآداب بالرباط.
- يعمل حالياً أستاذاً للفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط.
- له مجموعة مؤلفات، ومشاركات في الصحف والمجلات.

مؤلفاته :

- 1- أضواء على مشكلة التعليم بالمغرب، 1973م.
- 2- مدخل إلى فلسفة العلوم -بيروت- دار الطليعة- 1982م.
- 3- من أجل رؤية تقديمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية، 1977م.
- 4- نحن والتراث -المغرب- المركز الثقافي العربي 1983م .
- 5- تكوين العقل العربي -بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية .
- 6- المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي بيروت - دار الطليعة- 1982م.
- 7- فكر ابن خلدون، العصبية الدولة -المغرب- دار النشر المغربية - 1984م.
- 8- إشكاليات الفكر العربي المعاصر، 1986م.
- 9- وحدة المغرب العربي -بيروت - مركز دراسات الوحدة العربية -1987م.
- 10- التراث والحداثة: دراسات ومناقشات، 1991م.
- 11- الخطاب العربي المعاصر -بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية - 1994م.

- 12- وجهة نظر: نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر، 1992م.
- 13- المسألة الثقافية ، 1994م.
- 14- الديمقراطية وحقوق الإنسان ، 1994م.
- 15- مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب، 1995م.
- 16- المثقفون في الحضارة العربية: محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، 1995م.
- 17- الدين والدولة وتطبيق الشريعة، 1996م.
- 18- المشروع النهضوي العربي: مراجعة نقدية، 1996م .
- 19- قضايا في الفكر المعاصر، 1997م.
- أصدر الجابري مجلة (نقد وفكر)، وهي شهرية.

تنبيه :

حيث أنه قد سبقني مجموعة من الباحثين الفضلاء في دراسة فكر هذا الرجل، فقد رأيت الاكتفاء بنقل دراساتهم للقارئ؛ نظراً لعمقها وتحقيقها للمراد، خشية أن تتكرر الجهود .

والدراسات هي :

- 1- مقال للأستاذ أحمد أبو عامر بعنوان (كتاب يجب أن نحذرهم: محمد عابد الجابري) نشره في المجلة العربية، العدد 165، بتاريخ شوال 1411هـ .
- 2- مقال للأستاذ عبد العزيز الوهبي بعنوان (قراءة في فكر الدكتور محمد عابد الجابري) نشره في مجلة البيان (العدد 71).

3- جزء من رسالة الدكتور مفرح القوسي (المنهج السلفي والموقف المعاصر منه في البلاد العربية) ⁽¹⁾ خصمه للحديث عن الجابري (2/561-569).

-قال الأستاذ أحمد عبد العزيز أبو عامر في مقال له عن الجابري نشره في المجلة العربية (العدد 165): (تمهيد: تعاني جامعاتنا العربية ضمن ما تعانيه من الضعف أن جل أساتذتها الذين تخرجوا من الجامعات الأجنبية وبخاصة في العلوم الإنسانية عادوا بتصورات أجنبية فعلاً تتنكر غالباً للأصول الإسلامية لفقدانهم الأسس الإسلامية الصحيحة، وفاقد الشيء لا يعطيه.

ولذا وجدناهم مختلفي المنطلقات الفكرية، ويمكن إجمالهم على النحو التالي:

- 1- الدعاة لمركسة الفكر العربي وأبرزهم عبد الله العروي .
- 2- الدعاة لعلمنة الفكر العربي وأبرزهم محمد أركون.
- 3- الدعاة لعقلنة الفكر العربي وأبرزهم محمد عابد الجابري، مدار المناقشة في هذه الحلقة وهو من المبشرين بما يسمى بالمذهب الانتقالي، والذين يزعمون أن العلم شيء والعقيدة شيء آخر.

ما حقيقة هؤلاء:

وهؤلاء الكتاب يزعمون أنهم يناقشون قضايا المجتمع العربي الإسلامي من منظور علمي مع أنهم في الحقيقة يحاولون عمداً هدم الإسلام من الداخل ويسمي الباحث القدير (د/يوسف نور عوض) هذا

1 () لم تُنشر بعد. وهي موجودة لدى مكتبة الملك فهد بالرياض.

الاتجاه الجديد في علم الاجتماع. (اتجاه النقل المقصود به الهدم) ذلك أن معظم الكتاب العرب الذين بدأوا يستخدمون هذا المنهج، لم يحاولوا في الواقع نقد المنهج ذاته بل استخدموه بأقصى درجات التطرف من أجل تفتيت كيان الأمة الثقافي. تارة تحت اسم (سوسيولوجيا المعرفة) وأخرى تحت اسم (سوسيولوجيا النقد)⁽¹⁾ ومعظم المذنبين يعملون في هذه الاتجاهات الخطيرة قد عملوا في إطار التنظيمات الأيدلوجية المشبوهة وغرضهم إسقاط أفكارهم على الواقع الاجتماعي دون الدخول مباشرة في المواجهة، ونعود لصاحبنا الجابري.

نبذة عن حياته⁽²⁾ :

ولد عام 1936م في قرية (فكيك) المغربية على الحدود الجزائرية ودرس بها ثم غادرها إلى (الدار البيضاء) حيث انخرط في خلايا العمل الوطني في بداية الخمسينات، وفي عام 1958م انتقل إلى دمشق للحصول على الإجازة في الفلسفة. بعد أن حصل على البكالوريا كمرشح حر ولم يتم دراسته الجامعية وعاد للمغرب لينتسب إلى الجامعة المغربية الفتية. وفيها يكمل مشواره الأكاديمي، وفي 1964م يحصل على (الليسانس) في الفلسفة وفي عام 1967م نال الماجستير بعد مناقشة رسالته (منهجية الكتابات التاريخية المغربية) والتي عن طريقها اكتشف عالم الاجتماع المسلم (عبد الرحمن بن خلدون) حيث قرر أن يكون بحثه لنيل شهادة الدكتوراه عام 1971م (العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ العربي الإسلامي). وهو الآن أستاذ الفلسفة والفكر العربي والإسلامي في

1 () الندوة العدد 8778

2 () الشرق الأوسط العدد 3395 بتصرف.

كلية الآداب بجامعة الملك محمد الخامس بالرباط، وله العديد من الكتب من أشهرها: (نحن والتراث) و(نقد العقل العربي) وقد صدر في أجزاء ثلاثة هي (تكوين العقل العربي) و(بنية العقل العربي) و(العقل السياسي العربي) و(الخطاب العربي المعاصر) وغيرها. وقد شارك في العديد من المؤتمرات العلمية والثقافية وطرح بعض الآراء التي سيتم مناقشة بعض منها فيما بعد.

والملاحظ أن كثيراً من الكتاب المغاربة المشهورين اختطوا طريقاً فكرياً ينحو المنحى الفلسفي بما يسمونه (قراءات التراث) وهي اتجاهات شتى يمكن الرجوع لمعرفة في كتاب (التراث والهوية) لعبد السلام بن عبد العالي الذي تطرق فيه إلى كل من العروي والخطيبي والجابري وغيرهم.

ومحمد عابد الجابري والحق يقال: إنه من أنزه هؤلاء الكتاب وإن كان عليه ماخذ سأوضحها فيما بعد، وهذا التعريف السريع به وبفكره ينطلق من عنوانه من ما يعرف بالبيستمولوجيا وهي النظم المعرفية التي اشتهر في كتاباته عنها، في دراسته عن (نقد العقل العربي) وكيف انحدر إلى ما أسماه (بالهذولوجيا)⁽¹⁾ وأعني به السقوط في الرأي، حينما عرض وجهة نظره في أزمة الخليج والتي هي أقرب ما تكون للهذر من التحليل العلمي الذي عرف به وكيف أنه ناقض نفسه في مفهومه للوحدة العربية والذي سبق أن أدلى به في عدة مقابلات صحفية كما سأوضحه إن شاء الله.

1 () مع الاعتذار للأستاذ (سليمان الفليح) صاحب زاوية (هذولوجيا).

قراءات في التراث:

للجابري صلة قوية بدراسة التراث العربي الإسلامي ومن خلال قراءاته تلك يعرف بفكره وطروحاته حول التراث والتحديث، وقد وضع منطلقاته الفكرية هذه في مدخل كتابه (نحن والتراث).. فحينما ذكر اتجاهات الفكر العربي المعاصر في دراسة التراث وضعها في ثلاث فئات (السلفية الدينية) و(القراءة الاستشراقية) و(القراءة اليسارية) وقال: إن تلك القراءات كلها (سلفية) وإن اختلفت منطلقاتها. وإنما الفرق بينها هو نوع السلف الذي يتحصن به كل تيار، فالقراءة الاستشراقية سلفها مفكرو أوروبا واليسارية سلفها الماركسية.. ومن خلال إطلاعي على بعض من كتب عن الجابري وجدت أن ما ذكره المفكر المغربي (سعيد بن سعيد) عن ملامح منهجه الفكري هو أقرب ما يكون له، حيث وضع منهج الجابري متمثلاً في ثلاثة أبعاد.

- 1- بين درسين اثنين درس الفلسفة الهيجلية الماركسية ودرس الاستمولوجيا التكوينية كما نجدها عند (جان بياجي) من جهة ثانية.
- 2- المدرس البنيوي حيث يأخذ فيه من البنيويين وعلى وجه الخصوص من الفرنسيين (التوسر) و(فوكو) بصفة خاصة.
- 3- البعد الاستمولوجي الفرنسي ونجد تأثيره بالمفكر الفرنسي (باشلار) أكثر من غيره⁽¹⁾، ولقد صاغ الجابري في هذه الأخط المتعددة قراءاته للتراث والتي سنرى نموذجاً لها، ومما يتميز به الجابري أنه لم يصادم الإسلام مباشرة، ولا يرى التغيير في ترك التراث كالعروي مثلاً

1 () الشرق الأوسط، العدد 4093

لكن له آراء عجيبة وغريبة، ومما جاء في (بنية العقل العربي) قوله: (اللغة والشريعة والعقيدة والسياسة في الماضي والحاضر تلك هي العناصر الرئيسية التي تتكون منها المرجعية التراثية التي قلنا: إنه لا سبيل إلى تجديد العقل العربي إلا بالتححرر منها) !!

ماذا قال في دراسته عن نقد العقل العربي:

هذه الدراسة صدرت في أجزاء ثلاثة سبق ذكرها وهي دراسة مركزة وتحليلية للثقافة العربية والإسلامية تحتاج إلى كبير تأمل ومراجعة حتى يستوعبها القارئ لها، وسأقف معك أخي القارئ في الجزء الأول منها وهو (تكوين العقل العربي) وقد ذكر في كتابه (الخطاب العربي المعاصر) والذي يعتبر تمهيداً لهذه الدراسة، ذكر أن الذاتية العربية الراهنة تفقد استقلالها لكونها تنطلق من مرجعيتين متعارضتين منفصلتين عنها إحداها (تنتمي إلى الماضي العربي الإسلامي) والأخرى تنتمي إلى (الحاضر والمستقبل الأوروبي). وسبيل تحقيق الذات العربية هو التحرر من ذلك النموذج (الإسلامي والغربي) !!

تكوين العقل العربي:

تتبع الجابري مراحل تكوين الثقافة الإسلامية التي دونت وصنفت وأعيد بناؤها خلال عصر التدوين وامتداداته فوجد نفسه أمام ممارسة نوع من التاريخ للثقافة العربية يقوم على إعادة ترتيب العلاقات بين أجزائها، فبدلاً من تصنيف ضروب المعرفة إلى علوم نقلية وأخرى عقلية.. أدى به رصد الأساس (البستمولوجي) لإنتاج المعرفة داخل الثقافة العربية إلى تصنيف آخر لا يؤخذ فيه بعين الاعتبار سوى البنية

الداخلية للمعرفة (آلياتها ووسائلها ومفاهيمها الأساسية) حيث وضعها في ثلاث مجموعات:

1- علوم البيان: من نحو وفقه وعلم كلام وبلاغة ويؤسسها نظام معرفي واحد يعتد بقياس الغائب على الشاهد كمنهاج في إنتاج المعرفة سماه (المعقول الديني العربي).

2- علوم العرفان: تصوف وفلسفة وباطنية وسحر وتنجيم ويؤسسها نظام معرفي يقوم على (الكشف والوصال) و(التجاذب والتدافع) كمنهاج وسماه (اللامعقول العقلي).

3- علوم البرهان: من منطق ورياضيات وطبيعات وإلهيات ويؤسسها نظام معرفي واحد يقوم على الملاحظة التجريبية والاستنتاج العقلي كمنهاج وسماه (المعقول العقلي) وقال بأن العقل العربي إنما تكون من خلال تشييده لعلوم البيان التي أبدع فيها أيما إبداع، فإن كانت الفلسفة معجزة اليونان فإن العلوم العربية هي معجزة العرب!! وإذا كانت معجزة اليونان قد جعلتهم يتعاملون مع الكون لمحاولة فهمه فإن معجزة العرب قد جعلتهم يتعاملون مع النص وينغلقون من داخله بعد أن أغلقوا المعرفة التي تنتمي إليه. فماذا يا ترى يريد قوله بهذا الكلام الملفوف؟

وهكذا صار يحلل البقية على ذلك المنوال، ثم ذكر أن تأخر المسلمين راجع لكون العقل قدم استقالته استناداً إلى المشروعية الدينية، ففي حين بدأ الأوروبيون يتقدمون باستيقاظ العقل بينما المسلمون في صراع حول الخلافة وصراع الفرق

وأن تقدم غير المسلمين حينما فصل الدين عن الدولة.

وهكذا يدس السم في الدسم بطريق غير مباشر ولذا صدق د/يوسف نور عوض⁽¹⁾ بقوله عن هذا الكتاب: إنه نوع من الكتب التي يوهم القارئ بأنه يتحدث في أمور خطيرة ويتناولها بطريق علمية وموضوعية ولكن المتأمل فيه يدرك أن الكتاب فارغ المضمون وأنه مليء بالمغالطات والآراء غير العلمية بعكس الدعاية الكبيرة له، ومن ملاحظاته ما يلي:

1- أن السياسة وحدها ليست هي السبب الجوهري في تخلف المسلمين لأنه ليس هناك مجتمع في العالم لا يهتم بالسياسة فضلاً عن أن علومنا الإسلامية هي الأساس للنهضة الأوروبية كما اعترف بذلك منصفو الغرب أنفسهم كجوستاف لوبون في (حضارة العرب) وأن الاختلاف في التفاوت بين أوروبا والعالم العربي ليس في طبيعة العقل ذاتها وإنما لكون أوروبا اكتشفت الطاقة قبلنا واستطاعت عن طريق استثمار ثروتها أن تنمي نهضتها الصناعية، واستطاعت عن طريق الاستعمار أن تثبت أركان نفوذها وقوتها.

2- إن الجابري يموه بمفهومي النص والبيان وإن ما يعنيه هو القرآن الكريم إذ يريد أن يقول: إن الثقافة الإسلامية كلها قد انحصرت في معرفة النص القرآني وهكذا أصبحت من وجهة نظره معرفة مغلقة، ولم يدع أحد حتى الآن في الغرب أن دراسة اللغة مثلاً قد أصبحت غير مجدية،

1 () الندوة، العدد 9071

ودليلنا تطور علم اللغة الحديث لهم بطريقة مذهلة.

3- وحينما قال الجابري: إن العقل البياني العربي استقال من خلال ما يعرف بالتصوف السيئ أكد د. يوسف بأنه لا يعترف بأن التيار الصوفي كان في أي مرحلة من مراحل قويا بحيث يحجب الشريعة ويكون بديلاً عنها بحيث نصف العقل الإسلامي بأنه عقل مستقيل.

4- دعواه أن العلم العربي ظل خارج الحياة ولم يدخل في احتكاك مع الدين كما هو الشأن في الغرب ولم يبرر ذلك بموقف الإسلام الإيجابي من العلم وإنما برره بسلبية العرب واهتمامهم بالسياسة أكثر من اهتمامهم بالعلم. وأقول: كيف تقدم العلم العربي الإسلامي في عصور ازدهاره مع الاهتمام الكبير بالسياسة آنذاك والصراع حولها؟ لكن الحقيقة أن العلم والعلماء لم تتح لهم من الإمكانيات والدعم ما كان موجوداً آنذاك، وفي نظري أن تقسيمه الجديد عقد العلم وفروعه وجعله مستعصياً عن الفهم عند الآخرين، ثم كيف تقدم أسلافنا في التقسيم التقليدي وكانوا غرة في جبين الزمان؟! فنهضتنا وتقدمنا ليس في تقسيم للعلم جديد بدلاً للتقسيم القديم فحسب. بل لا بد من إعادة النظر في المناهج والتوجهات والخطط التنموية والعمل الجاد من كافة فئات الأمة بعد وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

من آرائه العجيبة:

أولاً: في الوقت الذي يقول فيه: إن تطبيق الشريعة مبدأ لا يحتمل النقاش كمبدأ يقول: إن الشريعة في الإسلام مجال مفتوح وأن هناك مبادئ وجوانب معينة وتطبيقها فيه مجال للاجتهاد، ثم يقول: إن (حد الزنا) كان من الممكن تطبيقه في مجتمع البادية أما المجتمع الجديد فلا يمكن تطبيقه كما اشترط الفقهاء⁽¹⁾ ولا شك فهذه الدعوى ساقطة من أساسها؛ لأن إجماع العلماء بأنه لا اجتهاد مع النص معروف ولا خلاف حوله، وتبقى الملابس والظروف والتحديد العقلي، وهذا ما يقرره العلماء والجا布里 ليس منهم، والإسلام دين شامل لكل زمان ومكان وتعاليمه السماوية لم تكن مؤقتة كما يزعم هؤلاء بلا علم (أنتم أعلم أم الله).

ثانياً: يقول في إحدى المقابلات معه (المستقبل العربي عدد 45/5): إن التمزق الذي يعيشه عالمنا العربي ليس في الحقيقة فشلاً لمفهوم القومية العربية كبديل عن المجتمع القديم، بل نتيجة لغياب الديمقراطية عن مشروع القومية العربية!!
والحقيقة أن مأساة الأمة العربية في مشاريع الوحدة الكثيرة ليس لغياب الديمقراطية فحسب بل لكونها لم تتم على الأسس المفروضة المنطلقة من الإسلام ذاته، ولو آمن المتحدون بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة لما حصلت أي خلافات أو تعثر. لكن مشكلة المشاريع الوحدوية أنها قامت لمصالح ومن ورائها ذوو اتجاهات حزبية متناقضة لا يأمن بعضهم جانب بعض فما تلبث إلا أن تسقط بين عشية وضحاها، إن الأمة بحاجة إلى منطلقات إيمانية وإلى معالم شورية وحينها لن يحدث ما يحصل من تشرذم

1 () الحوار القومي الديني

وسقوط، فهل نعي ذلك أم على قلوب أفعالها؟
وليس هناك أكبر دليل على سقوط (القومية) من
واقعنا اليوم وكيف أصبحت المفاهيم القومية
مصلحية وبنفعية ولا تمت للمصالح العليا للأمة
بصلة⁽¹⁾.

ثالثاً: في حوار ثقافي بين الجابري وحسن
حنفي على صفحات مجلة اليوم السابع (225/5)
حول ما دعتة المجلة (بالتخلي عن منطق الفرقة
الناجية) تطرق الجابري إلى حديث (افتراق الأمة إلى
ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) وذكر
بأن حصر الفرق الضالة كما جاء في الحديث وكما
يفعل علماء الشرع وتعيين الطائفة الناجية عمل فيه
تحكم وتعسف لا يقبله العقل ولا الشرع مستنداً إلى
ما ورد عن رأي لبعض علماء المغرب والأندلس..
والحقيقة أن الحديث صحيح كما أخرج علماء
الحديث قديماً وحديثاً وقد جمع الباحث (سليم
الهاللي) طرق الحديث ورواياته وتقويم علماء الجرح
والتعديل له وبيان صحته والرد على بعض المعاصرين
في طعنهم فيه وتأويل معناه بدون فهم في رسالة له
بعنوان (نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق الأمة)
وختم الرسالة بست حقائق علمية في فقه الحديث
جديرة بالإطلاع أكد فيها على وجود الطائفة
المنصورة القائمة على نهج النبي صلى الله عليه
وسلم متبعة سنته حتى يأتي أمر الله بالنصر والتأييد،
وقد فصل الباحث الهاللي أوصاف هذه الطائفة في
كتابه (اللائئ المنثورة بأوصاف الطائفة المنصورة).

مقالته في الهدر لوجيا:

¹ () للمزيد: انظر دراسة د. صالح العبود عن القومية العربية في
ضوء الإسلام، ولمعرفة حقيقة الديمقراطية التي دائماً ما يطنطن حولها
انظر (نقض النظام الديمقراطي) د. محمود الخالدي.

قلت: إن الهذلولوجيا أعني بها الكلام غير الموزون وغير القائم على أسس علمية وقد طرح الجابري رأيه حيال أزمة الخليج في (مجلة اليوم السابع) حيث يرى أن خلاف العقيدة (العراق) مع (الغنيمة) الكويت وضع عربي متسلسل عن صراع التكوينات العربية والاشتراكية في الستينات مع التقليدية والأمبريالية. انكمشت في الماضي زمن تطاول الاشتراكية ثم تجاسرت على الخروج فكان الصدام الذي جعل البترول الكويتي غنيمة يستحقها العراق نتيجة خوضه الحروب القومية!! فأدى تراكم الديون إلى بحثه عن حقه في الغنيمة.. وأتساءل مع الأستاذ (تركي السديري) ⁽¹⁾ في تعليقه على الجابري فيما ذكر: أي أمل لنا في فكر من هذا النوع من الكتاب الذي يتجاهل تشريد شعب بكامله وسطو على حقوق غيره ثم يسمي ذلك بأنه رد فعل طبيعي، متحللاً تماماً من صفته كمفكر ليتحول إلى كاتب إعلامي.

والجابري ينطلق في توهمه هذا على ما بنى عليه كتابه (العقل السياسي العربي) حينما قال: إن القبيلة والغنيمة والعقيدة محدودات ثلاثة حكمت العقل السياسي العربي الماضي وما زالت تحكمه، وبعد أن احتكنا بالحضارة المعاصرة وظهرت الأيدلوجيات النهضوية من سلفية وعلمانية وليبرالية وقومية واشتراكية.. تعرضت تلك المحدودات إلى نوع من القمع والإبعاد فشكلت المكبوت وبعدها تعرضنا له من نكسات واحباطات فتحت الباب على مصراعيه لعودة المكبوت وأن المطلوب هو تجديد

1 () الرياض العدد 8224 زاوية لقاء .

مهام الفكر العربي اليوم بتجديد العقل السياسي ويتمثل في رأيه فيما يلي:

1- تحويل القبيلة إلى مجتمع منظم مدنياً وسياسياً واجتماعياً.

2- تحويل الغنيمة إلى اقتصاد (ضريبة) أو اقتصاد منتج .

3- تحويل العقيدة إلى مجرد رأي.. ومن ثم التعامل بعقل اجتهادي ونقدي.

والذي يعرفه الجميع أن تلك التحولات الجديدة حصلت في كثير من أنحاء العالم العربي بالفعل، لكن السؤال المهم على أي أساس ينظم المجتمع المنشود. وعلى أي أساس يقوم الاجتهاد النقدي؟! لقد جربت الأمة العديد من المناهج الكثيرة من قومية واشتراكية ورأسمالية وما زالت تدور في حلقة مفرغة ويبقى أن تجرب الإسلام الفعال الإسلام الحق القائم على الشورى. لا الإسلام الانتقالي الذي يريده (الجابري) وأمثاله.. ومما يؤسف له أن الجابري نسي أو تناسى جوابه عن الطريقة المعقولة للوحدة العربية في مقابلة معه في صحيفة القبس الكويتية العدد (5884) الصادر في 29/9/1988م حينما قال: (والوحدة في أية حال لا يمكن أن تتم أو تكون دون ديمقراطية، ودون تراضي الدول العربية المرشحة لأن تتحد إما كمجموعات إقليمية أو كوطن عربي ككل. لا طريق آخر للوحدة العربية إلا طريق التراضي الديمقراطي بين هذه الدول، إلى أن يقول.. وبالتالي ستكون الوحدة عبارة عن مراحل وتعاون متدرج وليس وحدة شاملة من خارج المحيط..) أي دعوى تلك التي زعمها في رأيه بأزمة الخليج وقد قال

ما قال وناقض رأيه السابق في الموضوع بلا مبرر معقول؟

حقاً إن الجابري لم يقدم إضافة مفيدة ولكنه خسر نفسه كمفكر) انتهى كلام الأستاذ أحمد أبو عامر -وفقه الله-.

وقال الأستاذ عبد العزيز الوهبي في

مقال له بعنوان (قراءة في فكر الدكتور محمد عابد الجابري) نشره في مجلة البيان (العدد 71) : (هل يمكن بناء نهضة بعقل غير ناهض.. عقل لم يتم بمراجعة شاملة لآلياته، ومفاهيمه، وتصوراته ورؤاه... ؟ !

ثم لماذا لم تتطور أدوات المعرفة (مفاهيم، مناهج، رؤى..) في الثقافة العربية (الإسلامية) خلال نهضتها في (القرون الوسطى) إلى ما يجعلها قادرة على إنجاز نهضة فكرية وعلمية مطردة التقدم، على غرار ما حدث في أوروبا ابتداءً من القرن الخامس عشر (الميلادي)؟!

تلك هي الإشكالية التي شغلت ذهن المفكر المغربي د/ محمد عابد الجابري، ودفعته إلى إصدار دراساته المتنوعة حول كثير من قضايا الفكر الإسلامي التي منها : (نحن والتراث) صدر عام 1980 هـ و(الخطاب العربي المعاصر) صدر عام 1982 م و(نقد العقل العربي) الذي بدأ صدور أجزائه عام 1986 م. ولعل أهم هذه الدراسات وأكثرها ثراءً: الدراسة الأخيرة التي جاءت في ثلاثة أجزاء، كان الأول منها عن (تكوين العقل العربي)، والجزء الثاني عن (بنية العقل العربي) والجزء الثالث عن (العقل السياسي) .

والجزء الأول والثاني، أكثر أهمية في نظري من الجزء الثالث الذي درس نشأة الدولة في الإسلام، وتطورها... وحاول المؤلف فيه إبراز ما أسماه المحددات التي بقيت تحكم هذه الدولة في مختلف مراحل سيرتها الطويلة، هذه المحددات حصرها المؤلف من وجهة نظره في ثلاثة جوانب لا تتجاوزها وهي: العقيدة، والقبيلة، والغنيمة... وأحسب أنه لا يزال في هذا الموضوع العقل السياسي زيادة لمستزيد ولم يكن تناول المؤلف لهذا الموضوع كافياً ولا شافياً.

لاحظ الجابري، عندما درس (بينه العقل العربي) أن التصنيف الشائع القديم للعلوم الإسلامية بتقسيمها إلى علوم نقلية وأخرى عقلية، أو علوم دين وعلوم لغة، أو علوم العرب وعلوم العجم، لاحظ أن هذه التصنيفات لا تقوم إلا على اعتبار المظاهر الخارجية وحدها، والتي تذكرنا بالتصنيف القديم للحيوانات حسب مظاهرها الخارجية وحدها: إلى حيوانات برية ومائية وبرمائية، لكننا بحاجة إلى تصنيف جديد للعلوم الإسلامية كما ظهر التصنيف الجديد للحيوانات إلى فقريات ولا فقريات؛ الأمر الذي فتح أمام علم البيولوجيا آفاقاً جديدة خصبة وعميقة.

لقد كان عمل الجابري في هذا البحث (نقد العقل العربي) محاولة للكشف عن هذا التصنيف الجديد، محاولة لدراسة البنية الداخلية للفكر الإسلامي، وإعادة التصنيف على أساس لا يؤخذ فيه بعين الاعتبار سوى البنية الداخلية للمعرفة: آلياتها ووسائلها ومفاهيمها الأساسية.

من هذا المنطلق جاء التقسيم الجديد عند المؤلف للعلوم الإسلامية وتيارات التفكير الإسلامي إلى ثلاثة علوم أساسية هي:

- علوم البيان: وتشمل الفقه وأصوله وعلم الكلام وعلوم اللغة.

- علوم البرهان: وتشمل الفلسفة وخصوصاً فلسفة أرسطو!

- علوم العرفان: وتشمل التشيع والتصوف والفلسفة الإشراقية.

كان الإمام الشافعي هو المؤسس للمنهج في العلوم البيانية وكتابه (الرسالة) يعتبر (قواعد المنهج) للفكر الإسلامي، كما وضع ديكرت (قواعد المنهج) للفكر الفرنسي والأوروبي الحديث، وقد لخص رحمه الله تلك القواعد بقوله: (ليس لأحد أبداً أن يقول في شيء حل ولا حرم إلا من جهة العلم، وجهة العلم: الخبر في الكتاب أو السنة، أو الإجماع، أو القياس (الرسالة: 39) فجهة العلم بناء على هذا النص محصورة في أحد سبيلين: النص (من كتاب أو سنة أو إجماع) أو القياس (الذي هو إلحاق فرع بأصل لاتحادهما في العلة) فقياس التمثيل إذن هو الآلية المفضلة عند الفقهاء، وهو الأسلوب الذي يحكم منهجهم في التفكير.. وعن الفقهاء انتقل المنهج إلى المتكلمين وعلوم النحو والبلاغة مُشكلاً بذلك مدرسة البيانين.

أما علوم العرفان وهي العلوم التي يقدم فيها العقل استقالته فتبدأ مع بداية الترجمة، عندما أمر خالد بن يزيد بن معاوية (ت 85هـ) بترجمة كتب الكيمياء، والتنجيم، وكتب الطب اليونانية والقبطية، تلك الكتب التي تقدم رؤية هرمنية غنوصية للكون

والإنسان، ثم كان لجابر دور في نشر هذه النظرة الهرمسية، وشاركه في مثل هذا الدور الطبيب الرازي، أما في المجال العقائدي فقد كان الشيعة أول من تهرمس في الإسلام، ولم تسلم الجهمية هي الأخرى من هذا التلوث وكذا الصوفية، ثم جاء بعد ذلك دور التيارات الباطنية ممثلة في إخوان الصفا وفلسفة ابن سينا، التي تزعمت التيارات الباطنية الإشرافية، ثم غدت بعد ذلك طابعاً عاماً لكثير من التيارات المنحرفة التي كان مدار التفكير فيها والمنهج المفضل للوصول إلى المعرفة قائماً على أساس الكشف والعرفان والإشراق الذوقي الباطني، وبخلاف كثير من الباحثين يرى المؤلف أن هذا الاتجاه لم يكن رد فعل ضد تشدد الفقهاء، ولا ضد جفاف الاتجاه العقلي عند المتكلمين، كلا، لقد ظهر هذا النظام قبل أن تتطور تشريعات الفقهاء، ونظريات المتكلمين إلى ما يستوجب قيام رد فعل من هذا القبيل، لقد كان هذا التيار نتيجة لمحاولة عناصر معادية للفكر الإسلامي وللدولة الإسلامية قاداته عناصر من الزنادقة وأتباع الديانات الوثنية؛ من أجل تقويض البناء الفكري والسياسي للدولة الإسلامية. هذا عن البيان والعرفان... أما عن البرهان فيذكر المؤلف تبعاً لما يراه المستشرق كارل بروكلمان أن المأمون (198-218هـ) إنما أمر بترجمة الفلسفة اليونانية لمواجهة العرفان المانوي الغنوصي الذي اعتمده الشيعة والزنادقة لمواجهة الدولة الإسلامية، لقد كان الكندي (185-252هـ) هو أول فيلسوف عربي حيث أكد على أن المعرفة إنما تكون حسية أو عقلية أو إلهية أداتها الرسل المبلغة عن الله، وهو بذلك يرفض العرفان الشيعي الصوفي،

ثم جاء بعده الفارابي (260-339هـ) الذي حاول (الجمع بين الحكيمين)، أرسطو وأفلاطون محاولاً (التوفيق) بين تيارات الفلسفة اليونانية المختلفة، متوصلاً بذلك إلى أن العرفان إنما هو ثمرة للبرهان. لقد بقيت مدرسة بغداد كما يرى المؤلف من المأمون وحتى الخليفة القادر (381-422هـ) مركزاً علمياً مخلصاً لاستراتيجية المأمون الثقافية القائمة على الارتكاز على أرسطو ومنطقه وعلومه في الحرب ضد الإسماعيلية العرفانية الهرمسية، ثم تسلم بعد ذلك ابن رشد الراية عنهم، وهو المفكر الذي احتفظ بصورة فلسفة أرسطو نقية كما جاءت عنه، رافضاً إضافات الفارابي وابن سينا إلى هذه الفلسفة. هكذا تشكلت الدوائر الثلاث البيانية والعرفانية والبرهانية في الفكر الإسلامي، لكنها لم تدم مستقلة بعضها عن بعض طوال الوقت، لقد حصل تدريجياً تداخل بين هذه التيارات... فلقد حاول ابن سينا تأسيس (العرفان) على (البرهان)، وذلك بالبحث في الفلسفة عن أسانيد للرؤية الهرمسية للكون والإنسان وعلاقتها بالإله. كما حاول الغزالي تأسيس (البيان) على (العرفان)، وذلك بالتشكيك في كل قيمة للمعرفة الحسية والتجريبية والعقلية، متوصلاً بذلك إلى تفضيل طريقة (الكشف) والإلهام باعتبارها طريق اليقين الوحيد. بينما حاول ابن حزم تأسيس (البيان) على (البرهان) وذلك برفض قياس الفقهاء التمثيلي، ومحاولة اعتقاد البرهان المنطقي الأرسطي المبني على مقدمتين ينتج عنهما نتيجة ضرورية يقينية،

وتابعه على ذلك الشاطبي بعض المتابعة في محاولته لتأسيس فقه المقاصد.

أما ابن رشد، فقد سن محاولات الخلط بين هذه الحقول، ورأى أن الشريعة صنو الحكمة وأختها الرضيعة، وأن لا سبيل للبرهنة من أحدهما على الأخرى.. وهي نتيجة توصل إليها أبو سليمان المنطقي من قبل، لكن كان لابن رشد فضل بلورتها وتوضيحها.

المؤسف كما يرى الجابري أن محاولة ابن رشد جاءت متأخرة فلم تلق أذناً صاغية ممن جاء بعده من المفكرين، بل كان النصر (للعقل المستقل) في الحركة الصوفية والشيعية، كما كان النصر حليفاً لاختلاط الأنهر عند المتكلمين الذي ظهر بظهور الرازي حيث قام تلميذه (الإيجي) بعد ذلك بوضع الصورة النهائية لعلم الكلام في كتابه (المواقف) حيث يختلط فيه (البيان) بـ(البرهان) بـ(العرفان) وبذلك ظهرت أزمة الأسس في الفكر الإسلامي، وتشقى الحقيقة ثم ساد بعد ذلك الجمود والتقليد، وتحريم الاجتهاد والنظر العقلي.

هذا عرض سريع لموضوع كتابي (بنية العقل العربي) و(تكوين العقل العربي) نأتي بعده إلى سؤال مهم: ثرى ما هي المدرسة التي يتبناها الجابري بين هذه المدارس المختلفة، والتي يبشر بها ويدعو إليها؟! ثم ما هو المقياس الذي اعتمده في قبول أو رفض هذه التيارات، وما هي الخلفيات الفكرية والاعتقادية التي كانت تحكم نظرتة نحو مختلف المدارس الفكرية...؟!!

قبل الشروع في الإجابة على هذه الأسئلة، لابد من الإشارة إلى ظاهرة لا تخفى على القارئ

لمختلف الإصدارات التي كتبها الجابري؛ ألا وهي
رغبته الدائمة في عدم الكشف عن توجهاته الفكرية
بشكل سافر.. اتضح هذا جلياً في حوارهِ مع (حسن
حنفي) في كتاب (حوار المشرق والمغرب) حيث
سود صفحات في بيان رغبة القراء في كشف القناع
عن الخلفيات الأيديولوجية التي تحكم من يقرؤون
له، ومع ذلك فلم يحدد توجهاته بوضوح...!!
الذي يظهر لي أن حرص الكاتب على عدم
إظهار توجهه الفكري يرجع إلى أحد سببين هما:
- إما أنه لا يزال في مرحلة التأمل والبحث
والنظر، فلم يحدد بعد توجهاته الفكرية.
- أو أن الباحث يرغب في نشر إنتاجه الفكري
بين مختلف الأوساط دون عوائق تصنيفية
تلحق به الضرر عند من لا يوافق على توجهه
الفكري.

على أي حال، فإنه يمكن من خلال التتبع
لمختلف دراساته تبين خطوط رئيسية في خياراته
الفكرية تشير إلى شيء منها هاهنا :
بادئ ذي بدء، لا يخفي الكاتب انحيازه للعقلانية
حيث يقول:

(نحن نصدر عن موقف نقدي ينشد التغيير، من
التحرك من موقع أيديولوجي واع، أي لا بد من
الصدور عن موقف تاريخاني؟ ، موقف يطمح ليس
فقط في اكتساب معرفة صحيحة بما كان، بل أيضاً
إلى المساهمة في صنع ما يتبقى أن يكون، وهو
بالنسبة للمجال الذي نتحرك فيه: الدفع بالفكر
العربي في اتجاه العقلنة، اتجاه تصفية الحساب مع
ركام - ولا نقول رواسب- اللامعقول في بنيته.

(تكوين العقل العربي: 52).. (لأن موضوعنا هو العقل، ولأن قضيتنا التي ننحاز لها هي العقلانية) (التكوين: ص 7).

تبنى العقلانية، والدفاع عنها، والتنويه برموزها كان هدف الجابري الذي لا يخفيه في عامة دراساته التي أصدرها.. لكن العقلانية بأي معنى...؟! إنه لا يوجد صراحة من يعلن الحرب على العقل والعقلانية⁽¹⁾ لكن الاختلاف يظهر عندما يتحدد المقصود بالعقلانية.. فما هي يا ترى العقلانية التي يدعو إليها الباحث، وينافح عنها..؟ من خلال الرموز الذين دافع عنهم الجابري يمكن تلمس ملامح تلك العقلانية، وسماتها الأساسية.

لقد عرض الباحث فكر أرسطو في (بنية العقل العربي) (ص 384) دون أن يتحفظ على شيء مما جاء فيه، كما اعتبر الفارابي الذي يسمى (المعلم الثاني) اعتبره هو الذي أعاد تأسيس العقلانية في الإسلام، نظراً لكونه أول من درس المنطق الصوري كاملاً، وقد تغافل الباحث عن الجوانب الغنوصية في فكره ولم يعطها وزنها الذي تستحقه، نظراً لأنه كما يقول جعل (العرفان) ينتج عن (البرهان)، كما تبني هجوم ابن حزم على القياس باعتباره منهجاً في البحث لا يفضي إلى اليقين، واعتبر المنهجية الظاهرية الحزمية في الأصول أمتن من منهجية البيانين وأقوم، وكذا أعجب بمنهجية الشاطبي في

¹ () مما يؤسف له حقاً أن من بين المتمسكين بالنص في الإسلام من يتصور أن الإسلام ضد العقلانية، وأن مقتضى الوفاء للنص يعني الحرب والعداء للعقل، ولذلك يصفون المخالفين لهم (بالعقلانيين). وهذا خطأ مركب، فعلماء السلف لم يكونوا يسمون أهل البدع إلا بأهل "الأهواء" لا أهل العقول، ولم يكونوا يحاربون العقل أبداً، كيف والله تعالى يبين في كتابه الكريم أن هلاك الهالكين إنما كان بسبب ترك النص والعقل (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)، وهذه العجالة لا تكفي لتوفية هذا الموضوع حقه.

الموافقات، حيث بنى الأصول على المقاصد التي تعرف باستقراء أدلة الشرع..

لكن الشخصية الإسلامية التي تحتل قيمة لا منازع لها عند الجابري هي شخصية ابن رشد.. إن الخطاب الرشدي يبنى كله على النظر إلى الدين والفلسفة كبناءين مستقلين، يجب أن يبحث عن الصدق فيهما داخل كل منهما وليس خارجه، والصدق المطلوب هو صدق الاستدلال، وليس صدق المقدمات، ذلك أن المقدمات في الدين كما في الفلسفة، أصول موضوعية يجب التسليم بها دون برهان: فإذا كانت الصنائع البرهانية، في مبادئها المصادرات والأصول الموضوعية، فكم بالحري أن يكون ذلك في الشرائع المأخوذة من الوحي والعقل. (تهافت التهافت 2/869)، ولذلك (فإن الحكماء من الفلاسفة لا يجوز عندهم التكلم ولا الجدل في مبادئ الشرائع، وذلك أنه لما كانت لكل صناعة مبادئ، وواجب على الناظر في تلك الصناعة أن يسلم لمبادئها، ولا يتعرض لها بنفي ولا إبطال؛ كانت الصناعة العملية الشرعية أخرى بذلك..) (التهافت 2/791).

علام تدل هذه الكلمات؟! اعتبار الشريعة نسقاً مغلقاً لا يمكن الاستدلال عليه من خارجه؛ ألا يعني هذا أن الدين تسليم دون استدلال؟! وإذا صح هذا فكيف يمكن التمييز بين الدين الصحيح والزائف؟! ألا تحمل هذه الكلمات بذوراً علمانية خطيرة؟! -يلحق الجابري على منهج ابن رشد بقوله: (كانت الرشدية قادرة على طرق آفاق جديدة تماماً، وهذا ما حدث بالفعل، ولكن في أوروبا حيث انتقلت وليس في العالم العربي حيث اختنقت في مهدها،

ولم يتردد لصيحتها الأولى صيحة الميلاد أي صدى إلى
اليوم..) (بنية العقل العربي: ص 323) أي صدى
تردد في أوروبا، إنه الصدى الذي تبني العلمانية
منهاجاً، وجعل من الدين مواضع اجتماعية
وأخلاقية خاصة، فمن تبني العلمانية منهاجاً وجعل
من الدين مواضع اجتماعية وأخلاقية خاصة، فمن
شاء أن يلتزم بها فله ذلك ومن لم يشأ فلا جناح عليه
!! أما أن يتدخل الدين في صياغة المنهج السياسي
أو الاقتصادي، أو العلاقات الخارجية، فكلًا، ليس ذلك
للدين وإنما هو للعقل البشري المجرد...!!
هل يريد الجابري هذه النتيجة...؟! من العدل أن
نقول إنه لم يصح بهذا في هذه الكتب... لكن القارئ
بسوء نية يمكنه أن يفهم ذلك..

ملاحظات ومراجعات:

رغم الجهد الضخم الذي بذله الجابري في إعداد
هذا المشروع الفكري مستفيداً في ذلك ممن سبقه
من الباحثين، مسلمين كانوا أو مستشرقين أو
ماركسيين.. الخ؛ فإن المرء لا يسعه إلا أن يتبنى
موقفاً مغايراً لما تبناه المؤلف في كثير من المواضع
في تلك الكتابات، نقف في هذا العرض عند بعض
منها:

من الملفت للنظر في هذا المشروع النقدي، أنه
في غمرة حماسته للفلسفة الأرسطية، قد غص
الطرف عن النقد الجوهرى المتين الموجه قديماً
وحديثاً لهذه الفلسفة، سواء أكان ذلك في المنطق
الذي يحكمها أو في النتائج والرؤية التي تنتج عنها،
حتى أن العلم الحديث لم يتمكن من تحقيق فتوحاته
العظيمة حتى تحرر من أسرها، والمؤلف خبير
بالمنهج العلمي الحديث في البحث والتفكير، حيث

وضع فيه كتاباً في جزأين تحت عنوان (فلسفة العلوم)، ظهر له من خلالهما البون الشاسع بين التفكير العلمي الحديث والمنهج الأرسطي القاصر فلماذا يا ترى جعل الباحث المنهج الأرسطي معياراً للحكم على فكر هذا العالم أو ذاك بالتقدم أو التخلف، بالعقلانية أو عدمها؟!

حقيقة.. لا يظهر لي سبب واضح وراء هذه الحماسة والاندفاع.

-رغم أن الجابري لم يبد عداً نحو منهج البيانين (فقهاء وأصوليين ولغويين) فهو في ذات الوقت لم يحدد موقفاً واضحاً من القضايا التي أثاروها ولم يبد انحيازاً مع تلك الطروحات أو ضدها، وهو موقف غريب غير مبرر. ومن المسائل ذات الدلالة في هذا الموضوع أن ابن تيمية رغم مساهمته الثرية والعميقة في كل القضايا التي أثارها المؤلف في كتاباته، لم يلق أي اهتمام يستحق الذكر مقارنة بغيره من الشخصيات التي برزت في علم الأصول أو علم الكلام أو الفلسفة... الخ.

ورغم عدم تحيزنا للأشخاص، فإنه يمكن اعتبار هذه الظاهرة ذات دلالة لا تخفى، حيث أن ابن تيمية يشكل ربما الصورة الأخرى لابن رشد... فرغم إطلاعه الواسع على الفلسفة بمختلف تياراتها، ودخوله في جدل عميق مع مختلف طروحاتها، إلا أنه ظل على إيمان عميق لا يتزعزع بأن العقل لا يعارض النقل ولا يُضادّه، وأن أكمل مناهج التفكير العقلي، إنما هي تلك التي دعى إليها النقل وحث عليها.

فهو بخلاف ابن رشد يؤمن بأن مبادئ الشرائع يمكن فحصها والاستدلال لها بالعقل، كما أن مقدمات الفلسفة هي الأخرى تخضع للفحص العقلي والنقلي؛

وذلك هو الموقف العلمي الصحيح، وإلا كيف لمسلم أن يتورط بالقول بأزلية العالم؟، وذلك مخالف لمسلمة قطعية من مسلمات الدين وهي الاعتقاد بأن هذا العالم مخلوق بعد أن لم يكن؟! كيف لمفكر يحترم نفسه أن يسلم بالرؤية الفلكية الأرسطية، ويبقى في ذات الوقت محترماً للنص الشرعي مؤمناً بما فيه، بحجة أن هذه مقدمة فلسفية وتلك مقدمة كلامية شرعية؟! أليس في ذلك تغييراً مقصوداً للوعي؟! وعودة لا تخفى إلى التناقض؟!!

-أشار المؤلف إلى أن منهجية البيانين المفضلة هي الاستدلال بالشاهد على الغائب، وهي دعوى غير مسلم بها، فلقد كان للأصوليين المتقدمين كلام في الاستحسان، والمصالح، والاستقراء، والاستنباط، وهي طرائق في الفهم والاستدلال مغايرة لقياس الشاهد على الغائب.

كما أن للعلماء المسلمين في مجال العلوم الطبيعية، منهجياً تجريبياً متقدماً حتى أن المسلمين يعتبرون بحق وبشهادة الباحثين الغربيين أنفسهم سباقيين إلى اكتشاف المنهج التجريبي، وعنهم أخذته أوروبا في عصر النهضة، وهي قضية لم يعطها الكاتب حقها من الاهتمام والتقدير الكافيين.

هذه مسألة... والمسألة الأخرى في هذا الصدد حول قيمة المنهج في الوصول إلى الحقيقة... إن التقدم العلمي الهائل الذي تشهده العلوم التجريبية المعاصرة، ليس في الحقيقة ناتجاً عن تقدم المنهج إطلاقاً... إنما هو في الواقع ناتج عن الإمكانيات الهائلة التي أودعها الله في هذا الكون... إنها عظمة الله تتبدى في عظمة خلقه، وليس ذلك ناجماً عن

عظمة المناهج البشرية. إن العلم يكشف الطبيعة (الخلق) وقوانينها (السنن) ولا يخلقها من عدم... بل إن لبعض علماء الفيزياء المرموقين المعاصرين وهو بول ديفيس البريطاني كتاباً سماه "ضد الطريقة Against Method" يذكر فيه أن المنهج لم يكن في يوم من الأيام رائداً للبحث العلمي، بل كان دوماً متخلفاً وتابعاً للبحث العلمي!!

فالدور الضخم الذي يعطيه الجابري للمنهج يحتاج إلى مراجعة وتدقيق.

-في حديث المؤلف عن مرحلة التدوين في العصر العباسي، أشار إلى ما كتبه ابن المقفع في رسالته التي سماها "رسالة الصحابة" حيث يرى فيها كما يرى محمد أركون إنها ذات نفس علماني واضح...! وحثهم الوحيدة على ذلك: هو أنه لم يستشهد في هذه الرسالة بالقرآن، ولا بالحديث ولا بأي عنصر آخر من الموروث الإسلامي...! والحقيقة أن القارئ لهذه الرسالة لا يجد ذلك النفس العلماني المزعوم، وإنما غرض ابن المقفع الدعوة لتنظيم الدولة، وتوحيد القضاء، منعاً للاختلاط والاضطراب، وذلك باستخدام سلطة الخليفة دون أي دعوة ظاهرة أو خفية إلى تنحية الشريعة، أو تقديم بديل عنها، وهو مطلب لا يوجد أي غبار عليه، ولا يعتبر مطعناً في صاحبه!

-يركز الجابري في دراساته المختلفة على البعد العربي لمناهج التفكير والمدارس التي يحلل إنتاجها، وهو بعد ليس له مبرر، ذلك أن هذا التراث شاركت في بنائه وتكوينه عقول مختلفة من شتى الشعوب الإسلامية، ولم ينفرد العرب في تكوينه ولا تدوينه، وإنما هو ثمرة لتضافر جهود آلاف من الباحثين

المسلمين في شتى التخصصات، فلعل الكاتب خشي من سوء الفهم عند نقد العقل المسلم، إذ يفهم بعضهم ذلك بأنه نقد "للمنهج الإسلامي" وليس لمنهج "المفكرين المسلمين" والفرق بعيد بين الأمرين.

ورغم وجاهة هذا الاحتمال، فإنه لا يكفي مبرراً لإضفاء صفة "قومية" على التراث الإسلامي، ويمكن تلافي مثل هذه المخاطر بالتنبيه عليها في مطلع أو خاتمة مثل هذه الدراسة .

-وأخيراً... رغم النجاح الواضح الذي حالف المؤلف في تعرية تيارات الغنوص، والعرفان الرافضي والباطني والفلسفي والصوفي، وكذلك في الكشف عن مناطق الضعف والخلل عند بعض التيارات الأخرى، إلا أنه في ذات الوقت لم يبلور للقارئ الملامح النهائية للمشروع النهضوي المنشود الذي تتبناه هذه الدراسة وتدعو إليه ... فظاهر أن المؤلف لا يقف موقف الموتور المعادي للموروث الإسلامي، لكنه في ذات الوقت لم يبشر به، ويعتبره المخرج مما نعانيه من أزمة على شتى الصُّعد.

-إن الحلول التي قدمها المؤلف في نهاية كتابه عن العقل السياسي وهي:

- 1- تحويل القبيلة إلى تنظيم مدني سياسي اجتماعي: لأحزاب أو نقابات..الخ، وفتح الباب لقيام مجال سياسي حقيقي، تمارس فيه السياسة ويصل بين سلطة الحاكم وامثال المحكوم.
- 2- تحويل الغنيمة إلى اقتصاد ضريبة في إطار اقتصادي إقليمي جهدي وفي إطار سوق عربية

مشتركة تفسح المجال لقيام وحدة اقتصادية
عربية تنموية.

3- تحويل العقيدة إلى مجال يسمح بحرية التفكير
وحق الاختلاف والتحرر من سلطة الجماعة
المغلقة والتحرر من سلطة عقل الطائفة
والتعامل مع عقل اجتهادي نقدي " (العقل
السياسي: ص 37) هذه الحلول لا تمثل برنامجاً
كافياً مبلوراً للخروج من أزمة التخلف والتبعية
والتشرذم... ولذلك فإنني أدعو الباحث وغيره
من الجادين في الرغبة بنهوض هذه الأمة،
ومحاولة استئناف مسيرتها القيادية لذاتها
وللناس أدعوهم إلى مراجعة موقفهم من الحل
الإسلامي، واتخاذ موقف أكثر علمية من الموقف
الهلامي الذي يتخذه كثير منهم.. لا بد لهم لكي
يكونوا واقعيين مع أنفسهم أن ينحازوا للخيار
الذي لا تقبل الأمة عنه بديلاً... ألا وهو رفع شعار
الحل الإسلامي، والتبشير به والدعوة إليه
والسير الحثيث والفعلي لإنجازه... **(عسى الله
أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا
على ما أسروا في أنفسهم نادمين)**
(المائدة:25)... **(صبغة الله ومن أحسن من
الله صبغة ونحن له عابدون)** (البقرة:138)
... **(ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم
المسلمين من قبل وفي هذا ليكون
الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء
على الناس)** (الحج:78) والحمد لله رب
العالمين). انتهى كلام الأستاذ عبد العزيز
الوهيبي -وفقه الله-.

وقال الدكتور مفرح بن سليمان

القوسي في رسالته (المنهج السلفي والموقف المعاصر منه في البلاد العربية) (2/561-569):
(الدكتور محمد عابد الجايري : الذي قدم في كتبه ما يمكن أن يُسمى مشروعاً تحديثياً لتجديد الشريعة كي تبدو موافقة للتطور وموائمة لظروف العصر، والتجديد الذي يدعو إليه ليس هو التجديد بمفهومه السلفي الضيق - على حد تعبيره - بل تجديد بمفهوم عصري واسع يقوم على العقل وحده، فنراه يقول:
"والتجديد بالنسبة للرؤية الإسلامية جزء من الحياة نفسها بديل الحديث النبوي المشهور (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)، وبما أن الإسلام لا يفصل بين الدين والدنيا، بل بالعكس من ذلك يربط صلاح أمور الدين بصلاح أمور الدنيا، فإن تجديد أمور الدين يعني في ذات الوقت تجديد أمور الدنيا. وبما أن أمور الدنيا تتغير من زمان إلى آخر، فإن مفهوم التجديد ومتطلباته لا بد أن يتغير حسب الظروف والأعصار. وهكذا فإذا كان بعض الفقهاء القدامى قد فسروا "التجديد" على أنه كسر للبدعة والعودة بالمسلمين إلى سيرة السلف الصالح، فينبغي ألا نقف عند حدود هذا المعنى تقليدياً لهم وتقيداً بالتعريف الذي أعطوه للبدعة، والذي استمدوه من ظروف عصرهم ومعطيات واقعهم"⁽¹⁾.

ويقول كذلك محدداً (التجديد) الذي يحتاج إليه المسلمون اليوم: "والحق أن ما يحتاج إليه المسلمون

(1) وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر ص 40-41، ط الثانية 1994م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان. وانظر: التراث والحداثة ص 10-11، ط الأولى 1991م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان.

اليوم هو "التجديد" وليس مجرد "الصحوة"، إن التحديات التي تواجه العالم العربي والعالم الإسلامي تتطلب ليس فقط رد الفعل بل الفعل، والفعل في العصر الحاضر هو أولاً وأخيراً فعل العقل... لأن العصر يقوم كل شيء فيه على الفعل العقلاني⁽¹⁾. ويتمثل المشروع التحديثي الذي قدّمه الجابري لتجديد الشريعة فيما يلي:

أولاً: إعادة تأصيل الأصول ولا سيما أصول الفقه، وإعادة بناء منهجية التفكير في الشريعة، وفي هذا يقول: "إن المطلوب اليوم هو إعادة بناء منهجية التفكير في الشريعة انطلاقاً من مقدمات جديدة ومقاصد معاصرة، وبعبارة أخرى: المطلوب اليوم تجديد ينطلق لا من مجرد استئناف الاجتهاد في الفروع، بل من إعادة تأصيل الأصول؛ من إعادة بنائها"⁽²⁾، ويقول أيضاً: "إنما نريد أن يتجه تفكير المجتهدين الراغبين في التجديد حقاً والشاعرين بضرورته فعلاً إلى القواعد الأصولية نفسها، إلى إعادة بنائها بهدف الخروج بمنهجية جديدة تواكب التطور الحاصل، سواء على صعيد المناهج وطرق التفكير والاستدلال أو على صعيد الحياة الاجتماعية والمعاملات الجارية فيها التي تفرضها مستجدات العصر وضروراته وحاجاته. إن القواعد الأصولية التي يبنّي عليها الفقه الإسلامي لحد الآن ترجع إلى عصر التدوين (العصر العباسي الأول)، وكثير منها يرجع إلى ما بعده. أما قبل عصر التدوين هذا فلم تكن هناك قواعد مرسومة تؤطر التفكير الاجتهادي بمثل ما حدث بعد، والفقهاء الذين وضعوا تلك القواعد قد صدروا في عملهم الاجتهادي ذاك عن النظام

(1) وجهة نظر ص 40.

(2) المرجع السابق ص 57. وانظر: التراث والحداثة ص 10-11.

المعرفي السائد في عصرهم، وعن الحاجات والضرورات والمصالح التي كانت تفرض نفسها في ذلك العصر، وبما أن عصرنا يختلف اختلافاً جذرياً عن عصر التدوين ذاك، سواء على مستوى المناهج أو المصالح، فإنه من الضروري مراعاة هذا الاختلاف والعمل على الاستجابة لما يطرحه ويفرضه"⁽¹⁾، ويقول كذلك: "إننا نريد أن نؤكد في هذا السياق أن الدعوة إلى تحقيق الأصالة والمعاصرة، وهي دعوة ما فتئت تتردد على ألسنتنا وفي كتاباتنا منذ أكثر من قرن ودون جدوى ستبقى مجرد دعوة تتقاذفها أمواج التغير والتبدل الذي يفرض نفسه على الحياة المعاصرة ما لم ترتفع تلك الدعوة إلى المستوى الذي يجعل منها دعوة إلى التكيف الواعي مع المستجدات قصد السيطرة عليها ارتكازاً على تأصيل جديد للأصول"⁽²⁾.

ويقول كذلك مبرراً دعوته إلى تغيير أصول الفقه: "القواعد الأصولية هذه ليست ما نص عليه الشرع لا الكتاب ولا السنة، إنها من وضع الأصوليين، إنها قواعد للتفكير، قواعد منهجية، ولا شيء يمنع من اعتماد قواعد منهجية أخرى إذا كان من شأنها أن تحقق الحكمة من التشريع في زمن معين بطريقة أفضل"⁽³⁾.

ومن القواعد الأصولية التي يريد الجابري تغييرها كي تبدو الشريعة مواكبة للعصر ومسايرة للتطور ما قرره معظم الفقهاء من دوران الحكم الشرعي مع علته في عملية الاجتهاد، ومعلوم أن العلة وصف منضبط في الشيء الذي صدر فيه الحكم؛ وبهذا

1 () وجهة نظر ص 63.

2 () المرجع السابق ص 66.

3 () المرجع السابق ص 62.

الوصف يُعرف وجود الحكم فإذا وجد وُجد الحكم.
ويريد الجابري تغيير ذلك بأن يكون دوران الحكم
الشرعي مع الحكمة والمصلحة لا مع العلة، فإذا
وُجدت الحكمة والمصلحة وُجد الحكم، وإذا عُدمت
ألغى الحكم، ويضرب لذلك مثلاً وهو: الحكم بإباحة
الفوائد المترتبة على بعض المعاملات المالية التي
هي نوع من شهادات الاستثمار وسندات البنوك وذلك
لعدم وجود الاستغلال في هذا النوع من المعاملات،
ويقول: "ومعلوم أن منع الاستغلال هو الحكمة من
تحريم الربا"⁽¹⁾.

ويحتج الجابري على ما ذهب إليه من ضرورة أن
يكون دوران الحكم مع الحكمة والمصلحة لا مع العلة
بقوله: "وإذا كان عمر بن الخطاب قد عمل باجتهاده
واجتهاد الصحابة الذي استشارهم في مسألة فيها
نص، فوضع الخراج عن الأراضي المفتوحة عنوة بدل
تقسيمها بين المقاتلين مراعيًا في ذلك المصلحة؛
مصلحة الحاضر والمستقبل، وإذا كان قد عدل عن
قسمة الغنائم بالسوية كما كان يفعل النبي وأبو بكر،
وارتأى أن "العدل" يقتضي قسمتها على أساس
السبق في الإسلام والقراية من الرسول صلى الله
عليه وسلم، إذا كان عمر بن الخطاب -المشروع الأول
في الإسلام بعد الكتاب والسنة- قد اعتبر المصلحة
ومقاصد الشرع فوضعها فوق كل اعتبار فلماذا لا
يقتدي المجتهدون والمجددون اليوم بهذا النوع من
الاجتهاد والتفكير بدل الاقتداء بفقهاء عصر التدوين
والترسيم؟ لماذا نضيق على أنفسنا ونسجن اجتهادنا
في قواعد كانت تفي بالمصلحة والمقاصد قليلاً أو
كثيراً في زمان إذا لم تعد تفي بنفس الغرض اليوم

1 () المرجع السابق ص 61.

على أكمل وجه، والحال أنها قواعد مبنية على ظن المجتهد، وليس فيها شيء من القطع واليقين باعتراف أصحابها أنفسهم؟. أما دوران الأحكام مع المصالح فشيء يفرض نفسه ما دمنا نقرر أن المصلحة هي الأصل في التشريع، وأعتقد أن هذا المبدأ هو الذي صدر عنه الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، وإذن فالاجتهاد يجب أن يكون لا في قبول هذا المبدأ أو عدم قبوله بل في نزع الطابع الميكانيكي عن مفهوم الدوران، والعمل من أجل الارتفاع بفكرة المصالح إلى مستوى المصلحة العامة الحقيقية كما تتحدد من منظور الخلقية الإسلامية، إنه بدون هذا النوع من التجديد سيبقى كل اجتهاد في إطار القواعد الأصولية القديمة اجتهاد تقليد وليس اجتهاد تجديد حتى ولو أتى بفتاوى جديدة"⁽¹⁾.

ثانياً: تأسيس معقولية الأحكام الشرعية، وذلك باتخاذ المقاصد والمصالح أساساً للتشريع، وربط الأحكام الشرعية بأسباب نزولها، وفي هذا يقول الجابري: "عملية تأسيس معقولية الأحكام هي العملية التي بدونها لا يمكن تطبيق الشريعة على المستجدات، ولا على الظروف والأحوال المختلفة المتباينة، ولما كان مقصد الشارع الأول والأخير هو مصلحة الناس (فالله غني عن العالمين)⁽²⁾، فإن اعتبار المصلحة هو الذي يؤسس معقولية الأحكام الشرعية، وبالتالي فهو أصل الأصول كلها، وواضح أن هذه الطريقة تتحرك في دائرة واسعة لا حدود لها؛

1 () المرجع السابق ص 63 - 64.
2 () لعله يقصد هنا الآية الكريمة وهي قوله تعالى : (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) آل عمران 97.

دائرة المصلحة وبالتالي فهي تجعل الاجتهاد ممكناً
ولدى كل حالة"⁽¹⁾.

ويقول أيضاً داعياً إلى ربط الأحكام بأسباب
نزولها كي تبدو الشريعة أكثر طواعية وأشد مسابرة
لظروف العصر وأحواله المتغيرة: "لا سبيل إلا
باعتبار المقاصد والمصالح أساساً للتشريع، ذلك لأنه
في هذه الحالة يتجه المجتهد بتفكيره لا إلى اللفظ
(الحقيقة، المجاز، الاستعارة، الخصوص، العموم)، بل
إلى (أسباب النزول)، وهذا باب عظيم واسع يفتح
المجال لإضفاء المعقولة على الأحكام بصورة تجعل
الاجتهاد في تطبيقها وتنوع التطبيق باختلاف الأحوال
وتغير الأوضاع أمراً ميسوراً"⁽²⁾ ، ويقول: "بناء
معقولة الحكم الشرعي على (أسباب النزول) في
إطار اعتبار المصلحة يُفسح المجال لبناء معقوليات
أخرى عندما يتعلق الأمر بـ(أسباب نزول) أخرى، أي
بوضعية جديدة، وبذلك تتجدد الحياة في الفقه،
وتتجدد الروح في الاجتهاد، وتصبح الشريعة مسابرة
للتطور قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان"⁽³⁾ ،
ويضرب الجابري لذلك مثلاً وهو: ضرورة ربط
عقوبة القطع في السرقة في الشريعة الإسلامية
بأسباب نزولها؛ وهي: ما كان عليه العرب قبل
الإسلام وزمن البعثة النبوية من حيث إقامتهم في
مجتمع بدوي صحراوي، واعتمادهم على التنقل
والترحال طلباً للكلاً مما يلزم معه قطع يد السارق،
وأما في وقتنا الحاضر وقت التطور العمراني
والصناعي فقطع يد السارق غير ملائم لردعه عن
تكرار السرقة، بل الملائم هو السجن بدل القطع،

1 () المرجع السابق ص 58.
2 () المرجع السابق ص 59. وانظر: التراث والحداثة ص 10-11.
3 () وجهة نظر ص 61.

فناه يقول ما نصه: "إذا تحررنا من سلطة القياس والانشداد إلى الألفاظ، وانصرفنا باهتمامنا بدلاً من ذلك إلى البحث عن (أسباب النزول)، وهي هنا الوضعية الاجتماعية التي اقتضت نوعاً ما من المصلحة وطريقة معينة في مراعاتها، فإننا سنجد أن قطع يد السارق تدبير مبرر ومعقول داخل تلك الوضعية، وهكذا فبالرجوع إلى زمن البعثة المحمدية والنظر إلى الأحكام الشرعية في إطار الوضعية التي كانت قائمة يومئذ سنهتدي إلى المعطيات التالية:

أولاً: أن قطع يد السارق كان معمولاً به قبل الإسلام في جزيرة العرب. **ثانياً:** أنه في مجتمع بدوي ينتقل أهله بخيامهم وإبلهم من مكان إلى آخر طلباً للكفا؛ لم يكن من الممكن عقاب السارق بالسجن، إذ لا سجن ولا جدران ولا سلطة تحرس المسجون وتمده بالضروري من المأكول والملبس... الخ، وإذن فالسبيل الوحيد هو العقاب البدني. وبما أن انتشار السرقة في مثل هذا المجتمع سيؤدي حتماً إلى تقويض كيانه، إذ لا حدود ولا أسوار ولا خزائن، فلقد كان من الضروري جعل العقاب البدني يلبي هدفين: تعطيل إمكانية تكرار السرقة إلى ما لا نهاية، ووضع علامة على السارق حتى يُعرف ويحتاط الناس منه، ولا شك أن قطع اليد يلبي هذين الهدفين معاً، وإذن فقطع يد السارق تدبير معقول تماماً في مجتمع بدوي صحراوي يعيش أهله على الحل والترحال، ولما جاء الإسلام وكان الوضع العمراني الاجتماعي زمن البعثة لا يختلف عما كان عليه من قبل احتُفظ بقطع اليد كحد للسرقة من جملة ما احتُفظ به من التدابير والأعراف والشعائر التي كانت جارية في المجتمع

العربي قبل الإسلام، مع إدراجها في إطار خلقية الإسلام⁽¹⁾.

ثالثاً: التوسع في تحديد مقاصد الشريعة، وعدم الاقتصار فيها على ما ذكره فقهاء الأمة واتفقوا عليه فيما يدخل ضمن الضروريات، والحاجيات، والتحسينات، حيث يقول: "إن الأمور الخمسة التي حصر فيها فقهاؤنا القدامى (الضروريات) كانت وما تزال وستبقى أموراً ضرورية بالفعل، أي مقاصد أساسية لكل تشريع يستهدف فعلاً خدمة (مصالح العباد)، غير أن (مصالح العباد) اليوم لم تعد مقصورة على حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، بل إنها تشمل بالإضافة إلى الأمور الخمسة المذكورة أموراً أخرى نعتقد أنه لا بد من أن ندرج فيها: الحق في حرية التعبير وحرية الانتماء السياسي، والحق في انتخاب الحاكمين وتغييرهم، والحق في الشغل والخبز والمسكن والملبس، والحق في التعليم والعلاج.. إلى غير ذلك من الحقوق الأساسية للمواطن في المجتمع المعاصر. أما الحاجيات فبالإضافة إلى ما ذكره فقهاؤنا القدامى؛ هناك حاجيات جديدة مثل الحاجة إلى توفير الصحة والوقاية من الأمراض بإعداد ما يكفي من مستشفيات وغيرها، والحاجة إلى ما لا بد منه لتنشيط الإبداع الفكري في مختلف المجالات العلمية والفنية والنظرية، والحاجة إلى ما لا بد منه لاكتساب معرفة صحيحة بالواقع والأحداث... أما التحسينات التي يتطلبها عصرنا فحدّث ولا حرج"⁽²⁾. ويختم كلامه بهذا الخصوص بقوله: "إذا كانت هناك ضرورات عامة خالدة كتلك التي أحصاها فقهاؤنا بالأمس، فإن لكل

1 () المرجع السابق ص 60 - 61.

2 () المرجع السابق ص 67.

عصر ضرورياته وحاجياته وتكميلياته، وهكذا فعندما ننجح في جعل ضروريات عصرنا جزءاً من مقاصد شريعتنا فإننا سنكون قد عملنا ليس فقط على فتح باب الاجتهاد في وقائع عصرنا المتجددة المتطورة؛ بل سنكون أيضاً قد بدأنا العمل في تأصيل أصول شريعتنا نفسها بصورة تضمن الاستجابة الحية لكل ما يحصل من تغيير أو يطرأ من جديد"⁽¹⁾.

رابعاً: إسقاط الحد في جرائم السرقة والزنا وشرب الخمر والقذف، والاكتفاء فيها بالسجن، لأن الحدود -في نظره- ليست غاية في ذاتها وإنما هي وسيلة لردع وزجر النوازع الذاتية الفردية الهدامة، أي التي تمس مصلحة الجماعة أو الأمة.

ويستدل الجابري على إسقاط الحدود بحديث (ادرأوا الحدود بالشبهات) مدعياً أن شبهات عصرنا كثيرة ومتفرعة بسبب تعقد الحياة المعاصرة وتنوع الحوافز فيها، بالإضافة إلى وجود شبهات الراجعة إلى السياسة التي تجعل تنفيذ الحدود يلتبس بالأغراض والدوافع السياسية، وتلك -كما يقول- شبهة وأية شبهة"⁽²⁾.

ويدّعي أن الشريعة الإسلامية لم تطبق تطبيقاً كاملاً في كل مراحل التاريخ الإسلامي بما فيها المرحلة الأولى في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، فنراه يعلنها صراحة في قوله: "أنا لا أجد حرجاً لا في ديني ولا في وجداني ولا في عقلي إذا قلتُ إن الشريعة الإسلامية لم تطبق قط كاملة في يوم من الأيام"⁽³⁾!!

1 () المرجع السابق ص 68.
2 () انظر: وجهة نظر ص 68-72.
3 () المرجع السابق ص 73. وراجع ص 72-76 من المرجع نفسه.

ويرى الجابري أن "السلفية" التي تعني -كما يقول- استقامة السلوك والتجديد في الدين والعمل من أجل المستقبل من خلال الدعوة إلى الرجوع إلى سيرة السلف الصالح؛ لا تناسب الأمة الإسلامية في العصر الحاضر للحفاظ على وجودها واستمراريتها، لأن "السلفية" -في رأيه- "نوع من المقاومة الذاتية لأمراض داخلية ذاتية المنشأ، وقد كانت كافية وناجعة عندما كانت الحضارة العربية الإسلامية هي حضارة العالم لعصرها، أعني غير مزاحمة ولا مهددة بحضارة معاصرة لها على صعيد الزمن"⁽¹⁾. ويرفض نموذج السلف، ويرى أن النموذج الذي يجب استلهامه من أجل إعادة بناء الذات تجربتان: أولاهما جماع التجربة التاريخية لأمتنا بغض النظر عن صدرت عنهم هذه التجربة وعن موافقتها للحق والصواب من عدمه. والثانية: التجربة التاريخية لمختلف الأمم الأخرى، فنراه يقول ما نصه: "النموذج الذي يجب استلهامه من أجل إعادة بناء الذات؛ ذاتنا نحن وتحصينها وتلقيحها ضد الذوبان والانحثار والاستلاب ينبغي ألا يكون من نوع "النموذج -السلف" الذي يُقدّم نفسه كعالم يكفي ذاته بذاته، بل يجب أن يشمل جماع التجربة التاريخية لأمتنا مع الاستفادة من التجربة التاريخية للأمم التي تناضل مثلاً من أجل الوجود والحفاظ على الوجود، وأيضاً من التجربة التاريخية للأمم التي أصبحت اليوم تفرض حضارتها كحضارة للعالم أجمع. لقد كانت السلفية كافية وفعالة وإجرائية يوم كنا وحدنا في بيت هو بيتنا وبيت لنا في نفس الوقت، أما وقد أصبحنا جزءاً في كل فإن الطريق الوحيد لإثبات وجودنا والحفاظ على

1 () المرجع السابق ص 45.

خصوصيتنا داخل هذا الكل هو طريق التعامل معه بالمنطق الذي يؤثر فيه؛ منطقهُ هو ولكن من مواقعنا لا من مواقع غيرنا، ومنطق الكل الذي ننتمي إليه اليوم - أعني منطق الحضارة المعاصرة - يتلخص في مبدئين: العقلانية، والنظرة النقدية. العقلانية في الاقتصادي والسياسة والعلاقات الاجتماعية، والنظرة النقدية لكل شيء في الحياة؛ للطبيعة والتاريخ والمجتمع والفكر والثقافة والإيديولوجيا. هذا في حين أن منطق سيرة السلف الصالح - التي تُمثل "المدينة الفاضلة" في التجربة التاريخية للأمم العربية الإسلامية - كان شيئاً آخر، كان منطقهُ يقوم على المبدأ التالي: الدنيا مجرد قنطرة إلى الآخرة، وقد أدى هذا المنطق وظيفته يوم كان العصر عصر إيمان فقط وليس عصر علم وتقنية وأيديولوجيات⁽¹⁾. انتهى كلام الدكتور القوسي - سلمه الله -.

نظرة شرعية في فكر (الدكتور أحمد البغدادي)

- دكتور كويتي معاصر، وأستاذ بجامعة الكويت .
- له مشاركات في صحف الكويت، إضافة إلى هذه المؤلفات :

- 1- تجديد الفكر الديني: نشر دار المدى بسوريا، الطبعة الأولى عام 1999م .
- 2- الدولة الإسلامية بين الواقع التاريخي والتنظير الفقهي، دار قرطاس بالكويت، الطبعة الأولى عام 1994م.
- 3- حزب التحرير، دار قرطاس بالكويت، الطبعة الثانية عام 2001م.

1 () المرجع السابق ص 45-46.

لمحة عنه:

- يعد البغدادي أحد أبرز العلمانيين الكويتيين، وأكثرهم جرأة في الطرح، وفي مهاجمة الإسلام وأهله.

وقد ذاع صيت الرجل بالسوء! عندما أطلق مقولته الكفرية التي اتهم فيها الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه قد "فشل" في دعوته!! وقد قام بعض الغيورين في الكويت برفع أمره للمحكمة التي حكمت عليه بالسجن، إلا أنه سرعان ما خرج أو أخرج!!

- لهذا الكاتب كتاب بعنوان (تجديد الفكر الديني)! كشف فيه عن وجهه القبيح دون استحياء، وعن دعوته للعلمانية بتصريح دون تلميح. وسيكون التركيز عليه في ذكر انحرافات الرجل

انحرافات:

1- أول انحراف للبغدادي - كما علمنا - هو تصريحه بفشل الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته! وهذه عبارة كفرية يستتاب منها فإن تاب وإلا قُتل ردةً. (انظر مجلة المجتمع الكويتية، عدد 1373، ص 16-17).

2- ومنها: تهجمه على أحكام الشريعة الإسلامية بقوله -أخزاه الله-: "ما السبب الكامن وراء تبني المسلمين حكماً ومحكومين المفاهيم العلمانية عملياً لا فكرياً، دون حرج، أو لنقل دون تفكير؟ الإجابة بسيطة، لقد أصبحت هذه المفاهيم جزءاً من متطلبات المجتمع المدني الذي أخذ المسلمون يقطفون خيراته من خلال دولة القانون. هذه الدولة التي ألغت -دون إعلان- معظم المفاهيم الدينية في العقوبات

وأشكال العلاقات الجنسية غير العقلانية (ملك اليمين والتسري) وأبقت على الزواج فقط، وألغت الرق، وهجرت الزكاة مقابل تبني الاقتصاد الرئوي الغربي، واستبدلت بكل ذلك العقل الذي أسس الدولة المعاصرة" ! (تجديد الفكر الديني، ص 40).

قلت: فهذا العلماني يُفضل حكم الكفر والطاغوت على حكم الإسلام، بل يتهم حكم الإسلام بأنه لا يناسب العصر، وهذه ردة عظيمة عن دين الإسلام-والعياذ بالله-.

3- ومن ذلك : قوله مصرحاً بعلمانيته: "من المعروف أن أسس الإيمان لا تتضمن السياسة" (المرجع السابق 46).

4- ومن ذلك: قوله: "إن من الطبيعي عجز رجل الدين عن اللحاق بإنجازات المجتمع المدني في المجال الفكري؛ لأن رجل الدين يعلم كل العلم أن ذلك يقتضي التخلي عن الكثير من آرائه البالية التي لم تعد صالحة للعصر الحديث وللمستقبل، وأنه ليس أمامه سوى أن يعترف بكونية العلمانية، وأن المستقبل لها" ! (المرجع السابق، ص 47).

5- ومن ذلك : قوله ساخراً بمجتمع الرسول صلى الله عليه وسلم : "لنبحث في العلاقة المزعومة بين الإسلام والتنمية التي يدعيها التيار الديني، ولكن لنعلم أولاً وقبل كل شيء حقيقة مهمة هي أن المدينة المنورة مركز الدين وانطلاق الدعوة كانت أكثر المناطق الإسلامية فقراً" !! (المرجع السابق، ص 291).

قلت: فالرجل علماني ينظر إلى الأمور بنظرة (مادية) (دنيوية)، وعنده أن من كان أكثر رخاءً ونعيمًا فإنه الأفضل! دون نظرٍ إلى دينه، وهذه نظرة كثير من العلمانيين المعاصرين الذين ينظرون بهذه النظرة (الدهرية)، متناسين سنن الله التي قضت بأن يمد هؤلاء وهؤلاء من عطائه، وأنه قد يتلي المؤمن بالضراء. قال سبحانه (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا) أي ليس الأمر كما تظنون، وليس إنعام الله على العبد بالنعم الدنيوية دليلاً على رضاه عنه، وهكذا ليس تضييقها عليه دليلاً على سخطه عليه. والأدلة الشرعية كثيرة في توضيح هذا، ليس هذا موضعها.

6- ومن ذلك قوله: "من استعراض تاريخ دار الإسلام والخلفاء وكتب الأحكام السلطانية والسياسة الشرعية يتبين فشل الدين في ضبط وتوجيه السياسة" !! (المرجع السابق، ص 301).

فانظر إلى هذا العلماني الماكر كيف يستغل أخطاء البشر وانحرافاتهم عن الحق في تشويه صورة الإسلام وأنه غير قادر على سياسة الناس! والإسلام كما هو معلوم حجة على الناس وليس الناس حجة عليه. وما مثل هذا الرجل إلا كمثل من رأى من يشرب الخمر فطعن في حكم الإسلام القاضي بتحريمها؛ لأنه لم يردع هذا الشارب!!

7- ومن ذلك: قوله "نعلم مسبقاً بالتعارض القائم بين مفاهيم الديمقراطية كحقوق الإنسان وبعض النصوص الدينية على سبيل المثال اختلاف

الأديان يمنع التوارث، وعدم حق المرأة بتولي
الإمارة، وعدم حقها في الزواج ممن يخالف
دينها وما إلى ذلك من نصوص، وهذا يستدعي
من الفقهاء جرأة جديدة وقوية وغير عادية،
خاصة أن هناك بعض العلماء المعاصرين الذين
يمتازون بهذه الروح، ونضرب على ذلك مثلين،
الأول كتاب خليل عبد الكريم، الجذور التاريخية
لشريعة الإسلام، والثاني كتاب العالم
الإسلامي عبدالله العلابي⁽¹⁾: أين الخطأ: تصحيح
مفاهيم ونظرة تجديد، ويمكن أن نضيف إلى هذه
الكتابات الإبداعية الجريئة كتاب إبراهيم فوزي:
تدوين السنة، وهناك بعض المحاولات التي تتم
على استحياء لكنها تتراجع في بعض الأوقات
مثل كتابات الشيخ محمد الغزالي الذي يستشعر
القارئ له ميوله الدفينة نحو الغرب، بل لا نبالغ
إذا قلنا إنه يحسد الغرب على ما وصل إليه في
المجال السياسي وحقوق الإنسان" ! (المرجع
السابق، ص 408).

فهذا العلماني الأصل عنده أنه إذا تعارض الواقع
العلماني الديمقراطي المزعوم مع نصوص الشريعة
فإن الواجب أن تؤول هذه النصوص أو تُدفع وترد
ويُقدم عليها هذا الواقع الكفري، -والعياذ بالله- !! ولا
مانع عنده من تسمية هذا العمل اجتهاداً ! ما دام
يوصل إلى مقصوده أخزاه الله.

8- ومن ذلك: سخريته بحديث النبي صلى الله عليه
وسلم المحذر من خروج المرأة من بيتها
متعطرة، وقوله: "نورد حديثاً نبوياً يردده معظم
المتدينين، والقاضي بأن خروج المرأة من

(1) سيأتي بيان انحرافات هذا (العالم الإسلامي)! ضمن إحدى
مجموعات هذه السلسلة -إن شاء الله-.

منزلها متعطرة حرام، والبعض يتشدد ويصف المرأة التي يُشتم منها الرجل رائحة عطرها بالزنا والعياذ بالله، لست مختصاً بعلم النفس، لكنني قرأت أن بعض الرجال تستثار غرائزهم عند شم رائحة العرق !! " ! (المرجع السابق، ص 18-19)

9- ومن ذلك : زعمه أن الاقتصاد لا يقوم بدون ربا، وطعنه في حكم تحريم الربا، بقوله: "هل يمكن للاقتصاد المعاصر أن يستغني عن الأسلوب التجاري المستخدم في البنوك العادية والمرتبطة بالاقتصاد العالمي، وتعطيل مصالح الناس الاقتصادية بسبب مفهوم غير حاسم وهو الربا" ! (المرجع السابق، ص 19).

10- ومن ذلك : طعنه في حكم قتل المرتد وقوله: "هل يمكن تطبيق مفهوم الردة وهو تبديل الدين، والدعوة لقتل المسلم الذي يعتنق الديانة المسيحية أو اليهودية أو يرفض اعتناق أي دين؟ لا شك أنه من المستحيل تطبيق ذلك عملياً" (المرجع السابق، ص 19). (وانظر : ص 82، 123 وما بعدها، 345، 388).

وقال -قبحة الله- في (ص 105): "هناك أيضاً أحاديث خطيرة على حياة الإنسان؛ مثل حديث : (من بدل دينه فاقتلوه) " !

11- ومن ذلك : زعمه "أن ليس هناك ما يسمى بالحقيقة الدينية المطلقة" ! (المرجع السابق، ص 7). ولا أدري هل يدخل في هذا: وجود الله سبحانه؟! أو اليوم الآخر؟! أو ... الخ لأن الرجل يهرف بما لا يعرف.

12- ومن ذلك: دعوته الملحة إلى تطبيق الديمقراطية (المزعومة!)، وتفضيلها على حكم الشريعة الإسلامية! (انظر كتابه السابق، ص 120، 408).

13- ومن ذلك : تهجمه الدائم على أهل الإسلام، كقول هذا السفیه عنهم: "لقد قلت سابقاً وأكرر : إن التيار الديني لا عقل له" ! (المرجع السابق، ص 345).

قلت: الخلاصة أن الرجل ليس ذا فكر، إنما هو مردد لما يقوله غيره من غلاة العلمانيين في بلادنا الإسلامية، مع جرأة في الطرح وعلو صوت. وأفكاره التي يجترها في مقالاته وكتبه هي: الدعوة إلى العلمانية ومحاربة حكم الله ومن يطالب به. نسأل الله أن يهديه ، أو يكمد قلبه ويُسِخِّن عينه بتحكيم شرع الله في جميع بلاد المسلمين.

نظرة شرعية في فكر (فرح أنطون)

ترجمته⁽¹⁾:

- هو فرح بن أنطون بن إلياس أنطون.
- نصراني لبناني.
- ولد في مدينة طرابلس ببلدان عام 1874م، ودرس في مدرسة (دير بكفتين) اشتغل بالتجارة، ثم تولى إدارة مدرسة (نصرانية) أهلية في طرابلس أنشأتها جمعية خيرية للروم الأرثوذكس.
- كان يرأسل الصحف الصادرة بمصر لنشر أفكاره.
- سافر إلى الإسكندرية ليستقر في مصر عام 1897م، ويكتب في عدد من صحفها.
- وأنشأ فيها مجلة (الجامعة) سنة 1899م.
- يقول الدكتور جورج نخل : (بقيت "الجامعة" المنبر الرئيس لنشر أفكار "أنطون" ومبادئه العلمية والعلمانية، وميوله الاشتراكية) (فرح أنطون، ص 9).

(1) انظرها موسعة في كتاب الدكتور جورج نخل (أعلام من لبنان: فرح أنطون)، وفي (الجامع في تاريخ الأدب العربي) لحنا الفاخوري.

- أنشأ مجلة أخرى بعنوان (السيدات) وجعل أمرها بيد أخته "روز أنطون".
- سافر "فرح" إلى أمريكا عام 1906م، وواصل إصدار المجلات هناك.
- عاد بعد سنتين إلى مصر ليتابع نشر مجلة "الجامعة" فترة قصيرة إلى أن احتجبت.
- لم يتوقف عن الكتابة في الصحف، إضافة إلى كتابة المسرحيات.
- توفي عام 1922م عن عمر يناهز (48) سنة.

آثاره :

- 1-الجامعة : مجلة شهرية أصدرها لمدة سبع سنوات. ضمنها آراءه الاجتماعية والسياسية، وسير الرجال العظام والمفكرين والأدباء... والمقالات العلمية والفلسفية، وهي مركز الثقل في كل كتاباته.
- 2-فلسفة ابن رشد: نشره على شكل مقالات في مجلته، ودار حوله جدال عنيف، بينه وبين الشيخ "محمد عبده".
- 3-أورشليم الجديدة أو فتح العرب بيت المقدس: وهي قصة فلسفية اجتماعية.
- 4-الحب حتى الموت: قصة يُظهرُ فيها الأمانة والإخلاص عند المرأة.
- 5-مريم قبل التوبة: قصة اجتماعية، مات ولم يُكملها.
- 6-الوحش، أو سياحة في أرز لبنان: قصة أخلاقية تدور أحداثها في لبنان.
- 7-الدين والعلم والمال أو المدن الثلاث: قصة مدن وهمية يُضمِّنها معظم ما جاء في العالم العربي الحديث من أفكار، كالطباقية وفوارقها، والرأسمالية والعمال، والملكية وزوالها، والصراع الاشتراكي، كما

يبحث فيها قضية الدين ورجاله، ومسألة الحب، وتنازع البقاء، وفيها رجوع إلى آراء "روسو" التربوية.

ترجماته:

- 1- بولس وفرجيني : لبرناردان دي سان بيار .
 - 2- الكوخ الهندي: لبرناردان دي سان بيار.
 - 3- أتلا: لشاتوبريان.
 - 4- رواية ديماس عن الثورة الفرنسية وقد قسّمها إلى ثلاثة أقسام: "نهضة الأسد" ويقصد بهذا الاسم نهوض الشعب الفرنسي في ثورته الكبرى إلى طلب حقوقه، وتذكير الحكام بواجباتهم . "وثبة الأسد" ويريد بذلك وثوبه لاقتحام المظالم وكسر نير الاستعباد والاستبداد، عندما لم يجد في اللين والمسالمة نفعاً. "فريسة الأسد" ويقصد بذلك افتراس الثورة الفرنسية الملك لويس السادس عشر والملكة ماري أنطوانيت قرينته مع جميع النبلاء.
 - 5- تاريخ المسيح: لأرنست رينان، وقد لخصه تلخيصاً.
 - 6- ولقد ألف وترجم روايات تمثيلية عديدة أهمها:
 - 7- البرج الهائل .
 - 8- ابن الشعب .
 - 9- الساحرة .
 - 10- أوديب الملك.
 - 11- المتصرف في العباد.
 - 12- صلاح الدين.
- وقد مثلها جميعها الممثل النصراني المشهور:
- جورج أبيض.
 - 13- كرمن .
 - 14- كرمنينا.

- 15- روزينا.
 16- تاييس.
 وقد مثلت هذه الروايات الأربع المقتبسة، فرقةً منيرة المهدية.
 17- مصر الجديدة.
 18- بنات الشوارع وبنات الخدور.
 وهما روايتان غنائيتان مثلتهما فرقةً أخرى.
 19- أبو الهول يتحرك: رواية غنائية.
 20- رواية ذات الورد: لديماس.

انحرافاته:

- 1- نصرانيتها، وليس بعد الكفر ذنباً!
- 2- يعد فرح أنطون أحد نصارى الشام (لبنان خصوصاً) الذين نزحوا إلى بلاد مصر في القرن الماضي لنشر أفكارهم المخالفة للإسلام، والمساهمة في تضليل المسلمين وصر فهم عن دينهم بثتى أنواع الانحرافات، فكرية كانت أو فنية⁽¹⁾، وكان من نصيب فرح أنطون الأمور الفكرية؛ حيث ساهم في الدعوة إلى الاشتراكية والعلمانية بين أبناء المسلمين، وتزهيدهم في دينهم، ومحاولة فصله عن أمور الحياة؛ ليسهل له ولأمثاله من الكفرة الانغماس بين صفوف المسلمين في مساواة وطنية تمكنهم من قيادة المجتمع المسلم إلى حيث يريدون، دون أن يشعر بمخططاتهم أحد؛ لغياب النظرة الإسلامية التي تمايز بين المسلم والكافر، وتضع الكافر

(1) حيث كان هؤلاء النصارى أول من أسس الصحافة في بلاد مصر وأول من أسس الفن والمسرح في مصر، ومنها انتقلت إلى بلاد المسلمين. فليت أحد الباحثين يكتب رسالة في الجهود الخبيثة لهؤلاء النصارى المهاجرين إلى مصر.

في مكانه الذي أرادَه الله له ذلة ومهانة وعدم
تمكين من أمور المسلمين.

-يقول الكاتب فتحي القاسمي في رسالته
(العلمانية وطلائنها في مصر) (ص 346) عن فرح
أنطون وصاحبيه سلامة موسى وشبلي شمّيل:
(اعتبروا إقصاء الدين شرطاً أولياً وحيوياً لعلمنة
الشرق).

ويؤكد بأن الذي كان يشغلهم هو : (الدعوة إلى
جعل الدين ممارسة فردية، وعزله عن الحياة
السياسية) (ص 311).

ومن أقواله المهمة الخاصة بفرح أنطون: (ظل
متحمساً لمبادئ الاشتراكية ومعرفاً بها في مقالاته
ورواياته؛ لأنه وجد فيها بديلاً) (ص 300).

- (ما انفك ينادي بضرورة الإقلاع عن كل مقدس
ثابت؛ لأنه تجديف ضد التيار. ويوجد في روايته
"أورشليم الجديدة" ما يدل على إيمانه بتغير كل
شيء وتحوله باطراد) (ص 202)

- (إنه من خلال عنوان روايته "أورشليم الجديدة"
يبشر بقدسية العلم الجديدة، التي أرادها ناسخة
لقدسية الدين القديمة، فكان العلم سحب البساط
من تحت الدين) (ص 210)

- (إن المتتبع لفكر فرح أنطون يتبين شدة التعلق
بالعلم إلى درجة التقديس) (ص 211)؛ مما جعله
يقول (ليس لنا أمل بعد الله إلا فيك أيها العلم
المقدس) (ابن رشد وفلسفته، فرح أنطون، ص
217).

قلت: وصاحب كتاب (العلمانية وطلائنها في
مصر) ⁽¹⁾ فتحي القاسمي متأثر بدعوة هؤلاء النصارى

¹ () ركز اطروحته على ثلاثة من رموز العلمانية؛ وهم: فرح
أنطون، وشبلي شمّيل، وسلامة موسى.

! ومدافع عنهم ! ولكنه أفادنا بالكثير من أقوالهم وأفكارهم وتاريخهم بالتوثيق العلمي الدقيق، مما جعلني أكثر من النقل عنه، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

نظرة شرعية في فكر (شبلي شمّيل)

ترجمته⁽¹⁾ :

-هو شبلي بن إبراهيم شمّيل، ولد في (كفر شيما) بالقرب من بيروت عام 1853م.

-أحد نصارى الشام.

-درس الطب في (الكلية السورية الإنجيلية) التي أسسها البروتستانت الأميركيون. وتخرج طبيباً عام 1871م.

-في عام 1875م سافر إلى باريس لمواصلة دراسته في الطب.

-عاد إلى مصر ليمارس فيها الطب، وأصدر مجلة اسمها (الشفاء) لينشر من خلالها أفكاره، لا سيما فكرة (التطور) لداروين، التي آمن بها شمّيل إيماناً كاملاً، وتطرف في مناصرتها والدعوة إليها .

-كان يكتب في عشرات المجلات المصرية

-توفي في القاهرة عام 1917م عن عمر يناهز الرابعة والستين.

¹ () انظرها موسعة في كتاب الدكتور جورج نخل: (أعلام من لبنان: شبلي شمّيل)، وفي (الجامع في تاريخ الأدب العربي) لحنا الفاخوري.

آثاره:

1- كتاب "فلسفة النشوء والارتقاء" طُبع لأول مرة في عام 1885، ثم أُصدرت "المقتطف" الطبعة الثانية، في القاهرة عام 1910. وهو كتاب يشمل مقدمة الطبعة الثانية ومقدمة الطبعة الأولى، وكتاب "شرح بخنر على مذهب داروين"، ورسالة "الحقيقة" التي يرد فيها على من انتقدوه، و"ملحق في مباحث الحياة لتأييد الرأي المادي فيها" و"خاتمة الكتاب".

2- "الجزء الثاني من مجموعة الدكتور شبلي شمّيل" ويضم 69 مقالة، نشرها في صحف ومجلات عديدة. نُشر هذا الكتاب في عام 1909 في القاهرة.

3- رسالة بعنوان "شكوى وأمل"، ووجهها إلى السلطان "عبد الحميد"، يشرح فيها وجهة نظره في ما كانت تفتقر إليه الدولة العثمانية .

4- رسالة "المعاطس"، وهي صغيرة على نسق رسالة "الغفران" للمعري.

5- رسالة "آراء الدكتور شمّيل".

6- رسالة "سورية ومستقبلها".

7- شروح وتعليقات على كتب طبّية قديمة، تولى نشرها؛ كفصول "أبقراط"، وأرجوزة "ابن سينا" -له نظم وليس بشاعر.

-كان يُجيد الفرنسية، ويُعدّ من الكُتاب فيها.

انحرافاته:

1- نصرانيته.

2- هو أحد النصارى الشاميين القادمين إلى بلاد مصر لإفساد أبناء المسلمين، كشأن صاحبه فرح أنطون -كما سبق- وكان من نصيب هذا النصراني: الدعوة إلى العلمانية مع التركيز

الشديد على نقل نظرية (دارون) الإلحادية ونشرها بين أبناء المسلمين، بواسطة الكتب والمقالات.

-يقول فتحي القاسمي: (لقد كان شبلي شميل أول من بشر بالنظرية التطورية (أي نظرية دارون) في الشرق العربي منذ سنة 1876م غداة عودته من أوروبا) (العلمانية وطلائعها في مصر، ص 158).

-ويقول: (لقد كان تعلق شبلي شميل بمذهب التطور شديداً إلى درجة أنه اعتبر مبادئه أوليات ينبغي أن لا تخفى عن كل متعلم) (ص 193).

-ويقول: (سعى إلى ترويج هذا المذهب

بواسطة مقالات متتالية نشر بعضها في الجرائد وأكثرها في مجلة المقتطف) (ص 189)

-ثم واصل شميل -بخبث- نقل فكرته عن

التطور إلى مجال الدين!! هادفاً بذلك (تقويض

الفكر الثبوتي في الشرق باسم الدين) (المرجع

السابق، ص 194) أي أنه يدعو إلى عدم ثبات شيء

باسم الدين؛ بل كل شيء فيه قابل للتطور!!

يقول الهالك: (اعلم أن مذهب داروين كما يصح

على الأنواع يصح على الديانات أيضاً)!! (فلسفة

النشوء والارتقاء (2/132) .

-إذاً فالهدف من الدعوة إلى نظرية دارون-

سواء من شميل أو غيره- هو سحبها إلى مجال الدين

(الإسلام طبعاً!!) ليتم لهم إيهام الناس بأن لا شيء

ثابت -بناء على نظريات العلم الحديث-، ولو كان من

أمور الدين.

-لقد كان شمّيل يريد استبدال الدين بالعلم
زاعماً التناقض بينهما ! دون تفريق بين نصرانيته
المحرفة والإسلام؛ ليسهل له العبث بعقول أبناء
المسلمين هو وطائفة بعد أن (يتساووا) معهم في
العلم إذا أقصيت الفروقات الدينية.

-يقول شمّيل: (الدين الحق هو العلم الصحيح)
(فلسفة النشوء والارتقاء، (2/9))

-ويقول القاسمي عنه: (إن تقديسه للعلم حمله
على انتقاص شأن الديانات؛ لأنها في نظره ليست
قادرة على الصمود أمام تحديات الحاضر
والمستقبل) (العلمانية.. ص 208).

-ويقول : (كان شبلي شمّيل من أشد المثقفين
المسيحيين العلمانيين تحمساً للحضارة الغربية، وقد
اتصل إعجابه بذلك إلى آخر رفق في حياته) (المرجع
السابق، ص 293)

-ويقول : (لقد حاول شبلي شمّيل أن يدعو
الشرق إلى طرح كل ما يربطه بالقديم باعتبار ذلك
جموداً) (المرجع السابق، ص 296).
أسأل الله أن يبصر المسلمين بكيد أعدائهم، وأن
ينصرهم عليهم، والله أعلم، وصلى الله على نبينا
محمد وآله وصحبه وسلم .

نظرة شرعية في فكر (سلامة موسى)

ترجمته⁽¹⁾ :

1 () نقلاً عن الأعلام للزركلي (بتصرف يسير)، والعلمانية وطلّاعها
في مصر، لفتحي القاسمي (ص 170 وما بعدها).

قال الزركلي في الأعلام عنه: سلامة موسى القبطي المصري: كاتب مضطرب الاتجاه والتفكير . ولد عام 1304هـ في قرية كفر العفي بقرب الزقازيق. وتعلم بالزقازيق وباريس ولندن. ودعا إلى الفرعونية. وشارك في تأسيس حزب اشتراكي، لم يلبث أن حله الإنجليز واعتقلوه وسجنوه مدة. وجد الديانات في شبابه وعاد إلى الكنيسة في سن الأربعين، وأصدر مجلة "المستقبل" قبل الحرب العامة الأولى وتعطلت بسبب الحرب. وعمل في التدريس، ثم رأس تحرير مجلة الهلال وكل شيء، حتى عام 1927، وقام بحملة على الصحافة اللبنانية بمصر، فنشرت دار الهلال رسائل بخطه تثبت أنه كان عيناً عليها لحكومة صدقي .

وصنف وترجم ما يزيد على 40 كتاباً ، طبعت كلها. منها: "حرية الفكر وأبطالها في التاريخ" و"نظرية التطور وأصل الإنسان" و"غاندي والحركة الهندية" و"أشهر قصص الحب التاريخية" و"التجديد في الأدب الإنجليزي الحديث" و"اليوم والغد" مقالات من إنشائه. و"التثقيف الذاتي" و"فن الحياة" و"العقل الباطن أو مكونات النفس" و"المرأة ليست لعبة الرجل" و"تاريخ الفنون وأشهر الصور". وجمع الناشر مقالات له، بعضها مترجم، في كتب منها "اليوم والغد" و"مختارات سلامة موسى" و"في الحياة والأدب" .

وكتب في مجلات وصحف متعددة لم يكن يستقر في الانقطاع إلى إحداها، إلى أن مات عام 1378هـ في أحد مستشفيات القاهرة. وكان كثير التجني على كتب التراث العربي، يناصر بدعة الكتابة بالحرف اللاتيني⁽¹⁾.

ملخص فكره:

تدور أفكار النصراني سلامة موسى حول نشر الاشتراكية والعلمانية في بلاد المسلمين؛ كشأن صاحبيه فرح أنطون وشبلي شميل، إلا أنه فاقهم في ذلك؛ بحكم كونه مصري النشأة، مما جعله أجراً منهم في نشر انحرافات، وأكثر إنتاجاً. ولقد تميز سلامة موسى عن صاحبيه -أيضاً- بتطرفه في الدعوة إلى تحرير المرأة، وتسهيل السبل أمامها للسفور والتبرج.

انحرافات:

- 1- نصرانيته؛ فهو أحد أقباط مصر.
- 2- بغضه للإسلام وأهله، ومحاولة تزهد الشباب عن التمسك به، وتصويره بأقبح الصور

يقول الهالك عن أمنياته وهو في سن الستين :
(لن أكف عن تأليف الكتب المقلقة، مثل: نظرية التطور، أو حرية الفكر. خمائر صغيرة أبعثها في أنحاء الوادي وغيره إلى الأقطار العربية؛ كي أززع التقاليد السوداء، وأحرق العفن الذي تركته على العقول المطموسة) (تربية سلامة موسى، ص 291).

¹ () أحمد أبو كف، في مجلة الكتاب العربي : العدد 28 وإبراهيم التبوتي، في جريدة العلم بالرباط 15/8/1958 والعهد الجديد 13/8/58 والأهرام 10/8/58.

ويقول: (ربما كان الأزهر أكبر ما عاق تفكيري الحر) (المرجع السابق، ص 338).
و(نادى بأن تتكاتف الجمعيات الخيرية القبطية لمواجهة أعدائها!) (العلمانية وطلائعها..، ص 175-176).

3-دعوته إلى العلمانية في بلاد المسلمين؛ فهو أحد طلائعها.

يقول: (إذا خرج الدين من دائرة علاقة الإنسان بالكون، وأخذ يقرر أصول المعاملة بين الناس، من تجارة وزواج وامتلاك وحكومة ونحو ذلك، فإنه عندئذٍ يقرر الموت لكل من يؤمن به) (مقدمة السبرمان، ضمن المؤلفات الكاملة لسلامة موسى 1/23).
ويقول: (الرابطة الدينية وقاحة. فإننا أبناء القرن العشرين أكبر من أن نعتمد على الدين جامعة تربطنا) (اليوم والغد، ضمن المؤلفات الكاملة لسلامة موسى، 1/661).

-يقول فتحي القاسمي: (ما انفك سلامة موسى يدافع عن مشروعه العلماني على امتداد خمسة عقود من الزمن) (العلمانية ..، ص 305)
-ويقول: (كان كتابه "مقدمة السبرمان" 1910م دعوة مبكرة للعلمنة -التي تواتر ذكرها فيه مراراً-) (السابق، ص 178)
-ويقول عنه أيضاً:- (كان يطمح إلى بناء مجتمع علماني) (السابق، ص 217-218).

4-دعوته إلى الاشتراكية:
حيث (كان طبعه لكتاب "الاشتراكية" بمصر 1913م دعوة ملحة من أجل قيام مجتمع اشتراكي فكرياً وممارسة) (السابق، 178).

يقول سلامة: (إني أعتقد بالمستقبل الاشتراكي للعالم كما لمصر، وأعمل له) (تربية سلامة، ص 319).

ويقول : (ليس في العالم من تأثرت به وتربيت عليه مثل كارل ماركس) (السابق، ص 313).
-ويقول عنه موسى صبري: (هو في مقدمة العقول التي دعت إلى الفكر الاشتراكي في مصر) (أبي، لرؤف سلامة موسى، ص 25، 26).
-ويقول القاسمي في كتابه (العلمانية وطلائعها في مصر):

(لقد استمر سلامة موسى يدعو إلى الاشتراكية على امتداد نصف قرن) (ص 253) .
وقال عنه -أيضاً-: (أشرب قلبه حب الاشتراكية والمبادئ التي نادى بها ماركس) (السابق، ص 172) وألف في ذلك كتاباً بعنوان (الاشتراكية) -كما سبق-.

5-دعوته إلى وحدة الأديان: وهذه الفكرة من أخطر الأفكار وأخبثها في صرف المسلمين عن دينهم، أو ترويح الكفر بينهم ورضاهم به، وخلط الحق بالباطل⁽¹⁾.

وقد غلف الهالك دعوته تلك بالترويح لفكرة (الإنسانية) التي اقتبسها من إخوانه نصارى الغرب؛ لتمرير فكرة (وحدة الأديان) بين المسلمين.
يقول فتحي القاسمي: (كان سلامة موسى قد تربى منذ شبابه على حب الإنسانية، وظل تعلقه شديداً بأراء "نيتشه" الذي مجّد قوة الإنسان، واعتبر سلامة موسى ثاني من عرّف بأراء "نيتشه" في

1 () انظر لمعرفة خطر هذه الفكرة الكفرية: كتاب (الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان) للشيخ بكر أبو زيد - وفقه الله-.

الشرق، وذلك منذ سنة 1909م. وقد كان إفراطه في الاعتداد بالإنسان، والإيمان بتفوقه شديداً لما كان طالباً بلندن، وهو ما حفزه على تأليف باكورة إنتاجه "مقدمة السبرمان" الذي بدا فيه نيتشياً إلى النخاع) (العلمانية.. ص 239).

-ويقول سلامة عن نفسه: (إني أؤمن بالمسيحية والإسلام واليهودية) (تربية سلامة موسى، ص 317).
ويقول: (إن جميع الأديان سواء، حيث إنها تنشد الحياة الطيبة) (السابق، ص 254).

وقال معلقاً على أبيات الملحد ابن عربي:
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعئاً
لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح تورا
ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب
ديني وإيماني
(من الحسن أن تذاق مثل هذه الأبيات الذهبية
وتُعلق في بيوتنا على الجدران)!! (السابق، ص
258).

6-دعوته إلى تحرير المرأة: (حيث كان من المعجبين بمظاهر تحرر المرأة الفرنسية، وخصوصاً الإنجليزية، وكان من المتأثرين بالحركة النسائية في العالم) (العلمانية.. ص 260).
و(كان متحمساً للاختلاط بين الجنسين، ومعتبراً التحرر الجنسي عند الفرنسيين -مثلاً- سعادة) (السابق، ص 263)

7-دعوته إلى (الدارونية) : ثم التدرج منها -كما فعل أصحابه- إلى تطور الأديان؛ لمحاولة صرف المسلمين عند دينهم.

-يقول سلامة موسى عن نظرية دارون بأنها :
(غرست في نفسي مزاج الكفاح ؛ لأنها تصدت للعقائد والتقاليد) !! (تربية سلامة موسى، ص 176)
-ويقول : (التطور ناموس عام يشمل جميع الجهود الإنسانية الأدبية والمادية والاجتماعية لا تستثني في ذلك الأديان والمذاهب) (مختارات سلامة موسى، ص 59).

-بل وصل به تطرفه في الدعوة إلى نظرية دارون إلى أن قال بأن على : (أبناء الشعوب العربية أن يجعلوا من التطور عقيدة، بل عقيدة دينية، إذا كفر بها إنسان فإنه لن يعاقب على كفره بجهنم بعد الموت، ولكنه يعاقب بالموت أو الفقر والذل وهو حي في هذا العالم) ! (الإنسان قمة التطور، سلامة موسى، ص 137).

-وقد (أصدر كتابه "نشوء فكرة الله" 1912م لبيان أن التوحيد سابق للأديان السماوية !! وقد اعتمد في ذلك على آراء "جرانت إلين") (العلمانية...، ص 178).

8-دعوة المسلمين إلى الامتزاج بأوروبا والغرب، موهماً إياهم بأن ذلك السبيل الوحيد للنجاح والفلاح، يقول سلامة:

(الرابطة الحقيقية التي تثبت على قاعدة وترسخ ولا تتزعزع، هي رابطة الحضارة والثقافة، هي رابطتنا بأوروبا التي أخذنا عنها حضارتنا الراهنة، ومنها تثقفنا ثقافتنا الجديدة) (اليوم والغد، ضمن المؤلفات الكاملة لسلامة موسى(1/662).

9-دعوته إلى محاربة اللغة العربية والانتقال عنها إلى اللاتينية!، يقول الهالك : (لن يكون في بلادنا نهضة علمية، ولن ترقى الصناعة إلا حين تتخذ الحروف اللاتينية أي لن تستعرب العلوم إلا إذا "استلتن" الهجاء العربي) (البلاغة العصرية واللغة العربية، سلامة موسى ، ص 165).

هذه أبرز انحرافات النصراني القبطي سلامة موسى على عجل، تكشف مدى مساهمته في حمل لواء التغريب في بلاد المسلمين، حيث ضلل الكثيرين من أبناء الإسلام ممن رأوا فيه (طليعة) حضارية! وعقلاً متقدماً ، فتربوا على أفكاره وتراثه ، فكان لهم المرشد إلى الشر، كما سيأتي مثال ذلك عند الحديث عن (نجيب محفوظ) -إن شاء الله-.

أسأل الله أن يبصر المسلمين بأعدائهم ، وأن يُحبط كيد اليهود والنصارى، وينصر دينه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.